وقفات مع

الصائمين

إعداد

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض





وقفات مع

الصائمين

إعداد

أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض



ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصغير، فالح محمد

وقفات مع الصائمين؛/فالح محمد الصغير؛

الرياض، ١٤٢٧هـ.

٢١٢ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٧- ٥٥-١-٧٠-٩٩٦٠

١- مفسدات الصوم　　٢- قيام الليل　　أ- العنوان

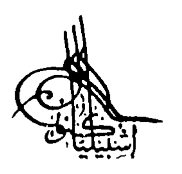
ديوي ٢٤٠　　١٤٢٧/٤٠٥٢

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٠٥٢

ردمك: ٧-٥٥-١-٧٠-٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ – ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

eshbelia@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إِنَّ الحمـد لله، نحمده ونستعينـه ونستغفـره، ونعوذ بـالله من شـرور أنفسِنا، ومن سيئات أَعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلله فلا هـادي له، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك لـه، وأشهد أن نبينـا محمداً عبده ورسوله، بلّغ الرسالـة، وأدّى الأَمانة، ونصح الأُمة، وجاهد في الله حق جهاده، صلـى الله عليه وعلى آله وأَصحابـه ، والتابعين ومن تبعهم بإِحسان إلى يومِ الدِّين، أَما بعد:

فلقـد رغب المسـؤولـون في إذاعـة القـرآن الكريـم بالـريـاض أَن أشاركهم ببرنـامج يومي في رمضان عـام ١٤١٥هـ سموه: «**وقفات مع الصائمين**»، يعالج في كـل يوم قضية أو مسألة مـن المسائل التي تهم المسلـم الصـائم ممـا يـوحيـه رمضـان والصيـام، وبعـدالاستشـارة والاستخارة أجبـت الطلب ولبيت الـرغبة؛ لعلَّ الله سبحـانه وتعـالى أَن يكتب ذلك في موازين أَعمالنا الصالحة يوم نلقاه.

وبعـد انتهـاء شهـر رمضـان المبـارك رغّب عـدد مـن المستمعين طبـاعتها ونشـرهـا؛ لتعم فـائدتها أَكثـر، فتـرددت في ذلك، ثـم أَجبت الطلب، حقق الله الأَجر والثواب.

ولا شك ـ أَخي القارئ ـ أَن الكتابة لـلإذاعة يُراعى فيها ما لا يُراعى في كتابة الأَبحاث العلمية، فتلك لعامة الناس بمختلف مستوياتهم العلمية، والأُخرى تكون تحقيقاً علمياً، حيث إنها لمستوى علمي معين، ولذلك ستجد أَن ما كتب يناسب عامة الناس.

ولهذا لم أَشأ أَن أُعدِّل أَو أُغيِّر سوى بعض التصرف، وتخريج الآيات والأَحاديث النبوية؛ لتكون كما أُلقيت، ولا تخرج عن إطارها الذي وضع لها.

ثم إنها وقفات على اسمها، فيها من الآراء ما يوجب قبولاً أو رداً، وفيها المختصر الذي يحتاج إلى تفصيل، وفيها ما يحتاج إلى مزيد تأمُّل، وما كان فيها مقبولاً فأَسأل الله تعالى القبول والرضوان، وما كان فيها غير ذلك فأَسأله سبحانه العفو عن الزلل والخطأ، ثم من وجد فيها ما يحتاج إلى نصح وتوجيه ودلالة إلى غيره فأَكون شاكراً وداعياً له بإسدائه ما يراه، وجزاه الله خيراً على ما قدّم، فمن المعلوم أن جهد البشر معرض للنقص والخلل.

أَسأل الله تعالى أَن يتقبل مني ومنكم، وأَن يعفو عني وعنكم، وأَن يصلح لي ولكم النيات والأَعمال، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أَجمعين.

كتبه

فالح بن محمد بن فالح الصغير

الرياض ١/ ٨/ ١٤١٧هـ

التهنئة بدخول شهر رمضان

الحمد لله الذي مَنَّ على عباده المؤمنين بمواسم الخير، ليضاعف لهم الثواب والأَجر، وليكفِّر عنهم السيئات والوزر، وأُصلي وأُسلم على نبينا محمد البشير النذير، والسراج المنير، وعلى آله وأَصحابه والتابعين، ومن على نهجهم يسير، أَما بعد :

فالسلام عليكم معشر المسلمين ورحمة الله وبركاته، وأَسعد الله أَوقاتكم، وطابت أَيامكم بكل خير وسرور، ومع مطلع شهر رمضان المبارك نقف الوقفات الآتية :

❑ **الوقفة الأولى :**

أُهنئ كل مسلم ومسلمة ببلوغ هذا الشهر المبارك، وأَسأل الله تعالى أَن يهلَّه علينا وعلى الأُمة الإسلامية بالأَمن والإيمان والسلامة والإسلام، وأَسأله جلَّت قدرته أَن يبارك لي ولكم في أَيامه ولياليه، وأَن يعيننا على صيامه وقيامه، وأَن يلهمنا حسن القصد والعمل، ويجعلنا فيه من عباده السابقين إلى الخيرات، المتنافسين في الصالحات.

❑ **الوقفة الثانية :**

يهنئ المسلمون في أَرجاء المعمورة كلها بعضهم بعضاً على

مستوى الأَفراد والمجتمعات والدول بدخول هذا الشهر المبارك، قارنين هذه التهنئة بالدعوات الصادقة بأَن يضفي رمضان من نفحاته الإِيمانية، وعبيره الفوّاح، وخصائصه المتميزة، على كل فرد يؤمن بالله رباً وبالإِسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً.

أَقــول : حق لكل مسلم أَن يبادر أَخاه بالتهنئة في هذا الشهر الكريم، حق له ذلك لأَن الرسول ﷺ قدوتنا وأُسوتنا كان يبادر أَصحابه رضي الله عنهم بهذه التهنئة العظيمة، روى الترمذي وابن خزيمة وغيرهما بإِسناد حسن أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا هلَّ شهر رمضان: «إذا جاء شهر رمضان ـ أو إذا كان أول ليلة من رمضان ـ صفدت الشياطين مردة الجن، وغلقت أبواب النيران، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب، ونادى منادٍ: يا باغي الخير أَقبِل ويا باغي الشر أَقصر، ولله عتقاء من النار»[1].

وروى الطبراني بإِسناد رجاله ثقات عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أَن النبي ﷺ قال: «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم

---

(١) رواه الترمذي ٣/ ٦٦ برقم ٦٨٢ باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وابن ماجه ١/ ٥٢٦ (١٦٤٢) في الصيام، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وابن خزيمة (١٨٨٣)، وابن حبان كما في الإحسان ٨/ ٢٢١ برقم (٣٤٣٥)، والحاكم ١/ ٤٢١، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله»[1].

حق لهم التهنئة بهذا الشهر الكريم، فالله سبحانه وتعالى خصه بخصائص تميزه عن غيره من الشهور، ففرض سبحانه صوم نهاره، وسن رسول الله ﷺ قيام ليله، والأجر فيه مضاعف أضعافاً لا حدّ لها: «الصوم لي وأنا أجزي به»[2].

ومنح الله عباده ليلة القدر فيه، خير من ألف شهر، ومن فطر صائماً كان مغفرة لذنوبه، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

□ الوقفة الثالثة :

ها نحن - أيها المسلمون الكرام - وقد تناءى بنا الزمن قروناً عديدة عن العهد المشرق الذي شُرِعَ فيه صيام رمضان، عهد رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

ولكن رغم هذه القرون لا يزال رمضان هو رمضان بمقامه العظيم، ومنزلته العالية في دين الله تعالى، فهو الشهر الذي نزل فيه القرآن، ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليهدي البشرية من التيه والضلال إلى الحق والهدى ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى

---

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في المجمع ٣/ ١٤٢.
(٢) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ١١٨ برقم (١٩٠٤) في الصيام، باب هل يقول: إني صائم؟ ومسلم ٢/ ٨٠٦ برقم (١١٥١) في الصيام، باب فضل الصيام.

للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[1] الآية، وهو شهر النصر والعزة والفرقان، الذي ظهر فيه الحق على الباطل، وهو شهر المغفرة والرحمة والعتق من النار، والتقوى والثواب الجزيل.

هذا هو شهرنا الكريم يفد إلينا بمنابع الخير العامرة، وبروحانيته الضافية، فهل نحن معشر المسلمين أُمة وأَفراداً على مستوى الوعي بقيمة رمضان، وعلى مستوى الهمة في استثمار خيراته، وبتعبئة النفس من نفحاته.

لقد استهلكنا لحظات من الزمن كثيرة قبل رمضان محسوبة علينا شهورها وأَسابيعها وأَيامها وساعاتها، بلغ فيها الكثير منَّا ما بلغ من الوقوع في الشهوات، واللهوِ بالملذات، والتقلب في أَحوال الحياة بين أَفراح وأَتراح؛ مما أَورث القلوب القسوة، والبعد عن رب الأَرض والسموات، والغفلة عن الدار الآخرة، وتناسي أَو نسيان الممات، ويأتي رمضان لعله يوقظ النفوس الغافلة، والعقول الشاردة؛ لتقف مراجعةً حساباتها، آيبةً إلى رشدها، مُقوِّمةً ما اعوجَّ من سلوكها.

□ **الوقفة الرابعة:**

لا شك أَن جميع المسلمين يفرحون بقدوم رمضان، مستقبلين له استقبالاً ينم عن ذلك الفرح العظيم، مجتهدين في مسالك الاستقبال؛ فذاك يجتهد في أنواع المأكولات والمشروبات، متفنِّناً في صنوف

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

الأَطعمة والملذات، وآخر يستعجل في تعديل برنامجه ليزيد في لهوه ومسامرة أَصحابه وأَصدقائه، وذاك ليستغله في بيعه وشرائه والصفق في الأَسواق، وآخرون اعتبروه مجالاً رحباً في تنويع الأَعمال الصالحات ليملؤوا سجلاتهم الأُخروية بما يجدونه أمامهم بعد مفارقة الحياة.

إنَّ نفحات هذا الشهر المبارك وأُجوره العظيمة ـ أَخي المسلم ـ ليست من نصيب من يضيق بهذا الشهر، أَو يجده مجالاً للهو والعبث، أَو من يتقلب في نعم الله تعالى غير شاكر لها، أَو من يضيع نفسه وأُسرته بين نوم وسهر، فهؤلاء المساكين وأَمثالهم عرضوا أَنفسهم لسخط الله تعالى، وأنزلوا أنفسهم منازل البعد عن الله تعالى، والقرب من الشيطان، فقدوم رمضان وبال عليهم، والعياذ بالله.

□ الوقفة الخامسة :

إن رمضان يفد علينا منذ أعوام والمسلمون تكوي جباههم وجنوبهم نيرانُ الكيد من أَعدائهم الذين كشروا عن أنيابهم، واستبانت حقيقة مواقفهم من الإِسلام وأَهله عداءً وحقداً، وحسداً وبغضاً، مما يدمي القلب، ويجرح الضمير، ويحير العقل الراشد.

هذا فضلاً عما يجنيه المسلمون على أنفسهم نتيجة بعدهم عن هدي ربهم وتفرقهم وإِيثارهم الأَنانية والمصالح القريبة، مما أوقعهم فريسة للفوضى والمجاعات والتناحر وسوء الأَحوال، فلعلَّ رمضان بخيراته ونفحاته، ولعل هذه المآسي بلهيبها المحرق، أن تحرك القلوب الغافلة، وتهز النفوس الشاردة كي تؤوب إلى رشدها، وتعود

إلى ربها؛ لتصوغ حياتها على منهاج ربها سبحانه وتعالى، وهدي نبيها محمد ﷺ، ولا شك أن رمضان فرصة لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكوراً.

أيها المسلمون الكرام:

إننا ونحن نستقبل هذا الشهر المبارك نحتاج إلى وقفات ووقفاتٍ مع هذا الركن العظيم، ومع هذه العبادة؛ لنفقهها حق فقهها، فلا يكون حظنا التهنئة في بدايته والتأسف في نهايته، والنسيان بعد مغادرته، فالله الله لأن يكون هذا الشهر منطلقاً جديداً للتعامل مع الله سبحانه وتعالى في كل مجالات الحياة وشعبها ومسالكها المختلفة.

أسأل الله تعالى الذي منَّ علينا ببلوغ هذا الشهر العظيم أن يعيننا على حسن الصيام والقيام، وأن يمنحنا القبول والرضوان، وأن يرزقنا فيه الرحمة والمغفرة والعتق من النيران، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



حكمة الصيام: (التقوى) ـ ١

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه، وعد الصائمين المتقين أجراً كبيراً، وأعد لهم خيراً كثيراً، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، وهداية للخلق أجمعين، وعلى آله وأَصحابه الطيبين الطاهرين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وسلم تسليماً كثيراً، أَما بعد:

فإنه ما إن يدخل شهر رمضان المبارك إلا وتتغير حياة المسلمين، منفذين أمر ربهم جلَّ وعلا، بالقيام بالركن الرابع من أَركان الإسلام، والذي أعلنه المولى عز وجل في أول آية تتحدَّث عن الصيام، وهي الآية الثالثة والثمانون بعد المائة من سورة البقرة، وختم الآية بالحكمة العظيمة من تكليف الأُمة بالصيام بعد أن خاطبهم جل شأنه في أهم صفاتهم؛ ليتم الربط القوي بين هذا الوصف العظيم، وتلك الحكمة الجليلة، هذه الآية هي التي سنقف معها متأملين مخاطبة المولى لعباده المؤمنين، مستخرجين شيئاً مما تنطوي عليه من الفوائد والفرائد، متدبرين حالنا وتطبيقاتنا في جمع شؤون حياتنا، تلكم هي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1].

---

(١) البقرة، الآية: ١٨٣.

□ **الوقفــة الأولــى :**

يخاطـب المولى سبحانـه وتعالى المـؤمنين بهذا الـوصف العظيم ﴿يا أيهـا الذين آمنوا﴾ آمنـوا بالله رباً وبـالإسلام ديناً وبمحمـد ﷺ نبياً ورسولاً، آمنـوا بالله ومـلائكته وكتبه ورسلـه وباليوم الآخـر وبالقـدر خيره وشره، آمنوا بذلك اعتقاداً في قلوبهـم، وصدقته أقوالهم بألسنتهم، وظهر أثر ذلك على جـوارحهم بعملهم وتطبيقاتهم في جميع شـؤون حياتهم، فلم يخدشـوه بمعصية فيقل إيمانهم، ويضعف يقينهـم، ولم يهملوه في بعض جوانـب حياتهم فينقص إيمـانهم، ولم يشككوا فيـه أو في أجزاء منه فيتزلزل يقينهم.

هـذا النـداء العظيم ـ أخي المسلم ـ مـن الرب الكـريم ـ حـريٌّ بسامعه المـؤمن أن ترتعد فرائصـه، وأن يرعوي سمعه عند سمـاعه لهذا النداء؛ ليعي ويفقه ما بعده، ألا تـرى عند مناداة عظيم من عظماء البشر لأَحد الناس ممن تحت يده، كيف تكون استجـابته فضلاً عن سماعه له ووعيه لمـا يتلفظ بـه، وسكون جـوارحه حـال كلامـه! ولله العليِّ الأَعلى المثلُ الأَعلى.

هـذه الصفة للمـؤمنين هي حـالة سلـف هذه الأُمـة من الصحابـة الكرام الـذين يتمثلون قولـه سبحانه: ﴿يـا أيها الذين آمنـوا استجيبوا لله وللرسـول إذا دعاكم لمـا يحييكم واعلمـوا أن الله يحول بين المـرء وقلبه وأنه إليه تحشـرون﴾ الآية[1] ، فلنستمع إلى مـا بعد هذا النـداء، معلنين

---

(١) الأنفال، الآية: ٢٤.

تنفيذ استجابتنا له.

□ الوقفــة الثانيــة :

بعد هـذا النداء من المولى سبحـانه وتعالى يفرض جـلَّ وعلا على هذه الأُمة ركناً من أركان الإسلام، مبينـاً أَنه فرضه على من قبلهم ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

وهذا الفـرض عليكم جميعاً أيهـا المؤمنـون، وكان هذا الفـرض في السنــة الثانيــة للهجرة بعــد مضي أَكثـر من أَربعة عشـر عــاماً على بعثــة محمــد ﷺ، جاء هـذا الفـرض في المـدينة النبـويـة التي بسطت فيهـا التشــريعات العمليــة، وفرضت علــى الأُمة، بعــد أن تغلغل الإيمــان في قلوب الصحابة رضي الله عنهم ممن أَسلــم في هذه الفترة، فكان الصيام تشريعاً عاماً منذ ذلك الوقت إلى أن تقوم الساعة.

□ الوقفــة الثالثــة :

ختم المـولى جلّ وعــلا بيان هــذا التشــريع العظيم وهــذا التكليف بحكمة عظيمــة وغاية كبيرة فقــال: ﴿لعلَّكم تتقون﴾، فمن أهــداف هذا الصيــام: التقوى، فــالصيــام طريق لتحقيــق هذه الكلمــة العظيمــة التي طالما رددها كل خطيب وواعظ، وأوصى بهــا كل حبيب محبيه، وخاصة عند مفارقة هذه الدنيا، ووداع الأَهل والأَحباب، والأَصدقاء والأَصحاب، هذه الكلمــة الجامعــة التي اعتنى بهــا السلف الصــالح، وعظموهــا في نفوسهم، وظهــر أثر ذلك على جوارحهــم وفي سلوكهم، عملوا بهــا أثناء

عباداتهم، وحال أداء مسؤولياتهم، استشعروا معناها، وحققوا مقتضاها، في بيوتهم وفي شوارعهم وفي أسواقهم وفي ميادين أعمالهم المختلفة.

هذه الكلمة الجامعة ذات ثمار عظيمة دنيا وأخرى، يسعد صاحبها، ويشقى ناسيها ومتناسيها، فضلاً عن الغافل عنها وتاركها.

هذه الكلمة التي جعلها الله غاية للصيام، حري بنا جميعاً أن ندرك معناها ونعرف حقيقتها، ونطبق مدلولها، ونزن أعمالنا تجاهها، وهذا ما سنلقي عليه بعض الضوء فيما يأتي:

❑ **الوقفة الرابعة :**

التقوى ـ أخي القارئ ـ ملكة إذا وجدت عند عبدٍ صبغت حياته صبغة خاصة تدفعه نحو الخير والطاعة، وتردعه عن الشر والمعصية؛ ابتغاء ثواب الله وخشية عقاب الله، ما أن يسمع بميدان الخير إلا ويسابق إليه، وما أن يسمع عن الشر والشبهة إلا ويبتعد عنه.

حول هذا المعنى ترددت عبارات السلف في تصويرها وبيانها وتقريب معناها، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (المتقون : الذين يحذرون من الله وعقوبته) ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر) وقال طلق بن حبيب رحمه الله: (التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله)، وأخذ هذا المعنى الشاعر (ابن المعتمر) فقال:

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

□ **الوقفة الخامسة:**

التقوى بمعناها المذكور آنفاً هي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، ووصية رسوله ﷺ لأصحابه وأمته، والتي تنوعت النصوص القرآنية والنبوية في بيان عظمها ووجوب تطبيقها والأمر بها، وما يترتب على تحصيلها من آثار عاجلة وآجلة، يقول تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾[١]، ويقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾[٢]، ويقول جل شأنه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[٣]، ويقول: ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾[٤].

وروى الترمذي بسند حسن أن رسول الله ﷺ أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،

---

(١) النساء، الآية: ١٣١.
(٢) الحشر، الآية: ١٨.
(٣) آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٤) المجادلة، الآية: ٩.

وخـالق الناس بخلـق حسن»[1]، وروى الإمام أحمـد من حـديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قـال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله فـإنه رأس كل شيء، وعليك بـالجهاد فإنه رهبـانية الإسلام»[2].

أخي المسلم: سمعت الاهتمام بهذه الكلمـة العظيمة، والتي تمثل الغـاية العظمى للصيـام، ويأتينـا رمضـان ليبعث في النفـوس الراغبـة أهمية هـذا الهدف العظيم من الصيـام، وليحقق للصائمين الصـادقين هذه الحكمة الجليلة، وليجدد العـزم على فعل الخير والطاعة وليحمي النفـوس من الضعف والخـور والمعصية، وليستأنـف العبد فيـه التوبـة والاستغفار، ولينفض عنه غبار الكسل والهزل.

أسأل الله تعـالـى أن يجعلنـا من عبـاده المتقيـن، وأن يحشـرنـا في زمرتهم، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



---

(١) رواه الترمـذي ٤/ ٣١٢ برقـم (١٩٨٧) كتاب البـر والصلة، مـا جاء في معـاشرة النـاس، وأحمد في المسند ٥/ ٢٢٨، ٢٣٧.

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/ ٨٢.

حكمة الصيام: (التقوى) ـ ٢

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا جل وعلا ويرضى، أحمده سبحانه وهو أهل الحمد في الأُولى والأُخرى، وأصلي وأُسلم على النبي الذي لا ينطق عن الهوى، وعلى آله وأَصحابه والتابعين أُولي الأَلباب والنُّهى، ومن سار على نهجهم واهتدى، وعلى طريقتهم اقتفى، أَما بعد:

فقد وقفنا بعض الوقفات فيما سبق مع حكمة الصيام الكبرى، وغايته الأَسمى، تلكم هي التقوى المتمثلة بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1] الآية، عرفنا معناها ومدلولها،وتنويه القرآن والسنة بشأنها، والحث على الالتزام والتمسك بها، ولازال الحديث موصولاً معها في بقية من وقفات لنتعرف على آثارها ونتائجها، وأهم الصفات التي تحصل للمرء بها:

❑ **الوقفة السادسة:**

اهتم السلف الصالح بهذه الكلمة قولاً وفعلاً، وظهرت واضحة جلية في وصاياهم، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استعمل

---

(١) البقرة، الآية: ١٨٣.

رجلاً على سرية فقال له: (أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لابد لك من لقاه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة)، وكتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى رجل فقال: (أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياكم من المتقين)، وكتب أحد السلف إلى آخر فقال: (أما بعد: أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حال، في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره).

❑ **الوقفة السابعة :**

هذه الكلمة بمدلولها الواسع إذا طبقها الفرد، وانتشرت في المجتمع، خلفت آثاراً يعجز القلم عن حصرها، ولكن حسبنا الإشارة إلى ما يدل على شيء من ذلك:

التقوى سبب لتيسير أمور الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ومن يتَّق الله يجعل له من أمره يسراً﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿فأمّا من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾[2].

والتقوى سبب لفتح البركات من السماء والأرض، وحصول

---

(١) الطلاق، الآية: ٤.

(٢) الليل، الآيات: ٥ ـ ٧.

الأَرزاق، وسعة الأَموال، يقول المولى تقدّس في علاه: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأَرض﴾[١]، ويقول جلّ شأنه: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب﴾[٢].

والتقوى سبب للتوفيق والتسديد في الحياة، والسعادة في الدنيا والآخرة، يقول جل وعز: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنْ تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾[٣]، ويقول تقدّس اسمه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾[٤].

والتقوى عامل قوي لعدم الخوف من كيد الكائدين، وضرر الكافرين، يقول جل وعلا: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً﴾[٥].

والتقوى سبب لنيل ولاية الله تعالى، يقول تعالى: ﴿إنْ أولياؤه إلا المتقون﴾[٦] الآية.

والتقوى سبب لنيل العلم النافع، وحصول بركته: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾[٧] الآية.

---

(١) الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) الطلاق، الآيات: ٢ ـ ٣.

(٣) الأنفال، الآية: ٢٩.

(٤) الحديد، الآية: ٢٨.

(٥) آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٦) الأنفال، الآية: ٣٤.

(٧) البقرة، الآية: ٢٨٢.

والتقوى طريق موصل إلى رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، يقول جلّ شأنه: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾(١) الآية.

وأهل التقوى تحصل لهم البشرى والاطمئنان في الحياة الدنيا، سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس لهم والثناء عليهم، والدعاء لهم، يقول سبحانه: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾(٢).

هذه بعض آثار التقوى إضافة إلى ما يحصل عليه المتقي عند الله سبحانه وتعالى يوم يلقاه، من فوز وفلاح، ونجاة من عذاب الله تعالى، وقبول الأَعمال، وتكفير السيئات، ومحو الذنوب، والعفو عن الزلات، ورفعة الدرجات، وزيادة الأَجر والحسنات، يقول جل وعلا: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾(٣)، ويقول سبحانه: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًّا﴾(٤)، ويقول سبحانه: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾(٥)، ويقول عز وجل: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيًّا﴾(٦)، ويقول جلّ من قائل: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف

---

(١) الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٢) يونس، الآيتان: ٦٣ ـ ٦٤.
(٣) النور، الآية: ٥٢.
(٤) مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢.
(٥) المائدة، الآية: ٢٧.
(٦) مريم، الآية: ٦٣.

من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾(١)، ويقول سبحانه: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾(٢)، ويقول سبحانه: ﴿ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً﴾(٣).

❑ **الوقفة الثامنة :**

هذه الآثار الجليلة، والثمار الطيبة، ليست من نصيب من ادّعى تلبس التقوى بدون تصديق بالجوارح، وإحياء بالسلوك، فللمتقي سمات يعرف بها، وللعامل صفات يتميز بها، فمن أراد أن ينضم في سلك المتقين، وأن يلج ميدان المتنافسين، وأن يكون عاملاً في مجتمع المتقين، فليستمع إلى تلك الأوصاف، ولتظهر عليه تلك العلامات قولاً وفعلاً، حسًّا ومعنى، يقول تعالى مبيناً سمات المتقين: ﴿آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾(٤).

ويقول في بيان مزيد من تلك الأوصاف: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر

(١) الزمر، الآية: ٢٠.
(٢) آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٣) الطلاق، الآية: ٥.
(٤) البقرة، الآيات: ١ ـ ٥.

والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[1].

وفي آيات أُخر يضيف أوصافاً أخرى فيقول: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأَرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[1] الآيات.

ويتحصل من مجمل ما مرّ من آيات عظيمة أن من أبرز صفات المتقين: الإيمان بالغيب، وإقامة الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام، والإنفاق في سبيل الله من الزكاة المفروضة والصدقة المستحبة، والتبرع في مجالات الخير المختلفة، والأَخلاق العالية التي تصل في علوها إلى درجة ضبط عواطف الإنسان وكبح نزواته، وتحمل سيئات الآخرين عليه، والتوبة والاستغفار والإنابة عند الزلل والوقوع في المعصية على حين غفلة أو ضعف نفس، وكذا الاستجابة الفورية لنداءات الله تعالى، فيكون القلب حاضراً لتلبية تلك النداءات.

وإذا بحثت عن التقي وجدته   رجلاً يصدّق قوله بفعالِ

(١) آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٥.

وإذا اتقى الله امرؤ فأطاعــه   فيداه بين مكارمٍ ومعالي

أيها المسلمون الكرام:

إن أيـام السنـة تمضـي، والعمر سـرعـان مـا ينقضـي، والأَعمـال المختلفة تتلاحـق، والإنسان في دوامة من المشـاغل لا تنتهي، ولا شك أنها تمر أوقات وأحداث تنبهه للرجوع إلى مولاه، فيؤوب ويرجع وسرعان ما يتلاشى ويضعف، وهكذا، وسبب ذلـك كله ومرده أجمعه إلى فقدان تلك الكلمـة الصغيـرة لفظـاً، الكبيـرة معنىً (التقـوى) فـإذا مـا دعتك نفسك الأمارة بالسوء إلى تجاوز حـدود الله تعالى، وسوّلت لك ارتكاب معصية أو مخالفـة أمر، فتذكر وتأمَّل (التقـوى) واجعلها بين عينيك، في بيتك، وبين أسـرتك، وفي مكتبك، وبيـن موظفيك، وفي الشـارع، وبين إخوانـك المسلمين، وفي أداء عبادتك وعـلاقتك بربك، وفـي كل شأن من شؤون حياتك.

ولعل رمضـان ونحن فـي أيامـه الأولـى، ونوازع الخيـر في النفـوس قائمـة، وللأَعمال الصالحـة راغبة، أن يحيي بنا هذه الشعيـرة العظيمة، ونعاهـد الله تعالى لتحقيقهـا، مستشعرين وصيته سبحـانه وتعالـى: ﴿يا أيها الـذين آمنـوا اتقوا الله حق تقـاته ولا تمـوتن إلا وأنتم مسلمـون﴾[1] لابسين لباس التقوى: ﴿ولبـاس التقوى ذلك خير﴾[2]، ﴿يا أيهـا الذين آمنـوا كتب عليكـم الصيـام كما كتـب على الـذيـن من قبلكـم لعلكم

(١) آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) الأعراف، الآية: ٢٦.

تتقون﴾[1].

جعلني الله وإياكم مـن المتقين الأبرار، اللابسين لبـاس التقوى في الليل والنهار، إنه سميع مجيب عزيز غفّار، وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

(١) البقرة، الآية: ١٨٣.

من آداب الصـــوم

الحمد لله الأعلى، يعلم السر وأخفى، خلق فسوى، وقدّر فهدى، وأصلي وأسلم على النبي المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واهتدى، أما بعد:

فقد وقفنا فيما سبق مع هدف الصيام الأَسمى، وغايته العليا، ألا وهي: تقوى الله عز وجل، ونقف اليوم وقفات نتذكر فيها عظم هذا الصوم وآدابه، وبخاصة في هذا الشهر المبارك، ويعظم الشيء بِعِظَم ما يحيط به، ولا ريب أن هذا الركن العظيم ليس أمراً عادياً عند المسلم الحق، وهو ينفذ أمر ربه صائماً، فليس الصوم مجرد شعار يرفعه، أو حالة معينة يرفض فيها تناول المفطرات الحسية ومن ثمّ يعود إليها في ساعات الليل.

بل هو مع هذا عبادة جليلة لها أجرها العظيم وثوابها الجزيل: «الصوم لي وأنا أجزي به»[1] وهذا فيما إذا تحققت فيها آدابها وشروطها التي نجملها في الوقفات الآتية:

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ١١٨ برقم (١٩٠٤) في الصيام، باب هل يقول: إني صائم، ومسلم ٢/ ٨٠٦ برقم (١١٥١) في الصيام، باب فضل الصيام.

❑ الوقفــة الأولى :

يقف في مقدمـة شروط الصيام وآدابه، بل هـو رأسها والتي لا يقبل إلا بتحققها: (النية الخـالصة في الصيام) وشأن الصيـام شأن أي عبادة لله عـز وجل، فـالمكلف لا تقبل منـه أي عبـادة إلا بهـذه النية؛ تحقيقـاً لقولـه تعالى: ﴿وما أمـروا إلا ليعبدوا الله مخلصين لـه الدين﴾[1] ، وقد ذكر أهل العلم أن نيـة صيام الفرض يجب أن تبيت مـن الليل؛ لما روى ابن عمـر رضي الله عنهما عـن حفصة رضي الله عنهـا مرفـوعاً: «مـن لم يبيت الصيـام قبل الفجر فـلا صيام لـه»[2] ولا يلـزم التلفظ بهذه النيـة، ولكن يقوم مقـام ذلك استشعاره للقيام لتناول وجبـة السحر مثلاً، أو أي عمل أو قول يدل على ذلك.

وعليه فينبغي للصائم أن يستشعـر نية صيامه وأنه ـ أعني الصيام ـ عبادة يتقـرب بها إلى مـولاه، فلم يترك طعـامه وشرابـه وشهوتـه وقضاء وطره إلا تنفيـذاً لأمر مولاه، وهـذا كله يشعرنـا بأخطاء يقع فيهـا كثير من الصـائمين بقصـد أو بغيـر قصـد، فـذاك الـذي لا يهتم لقـدوم الشهـر وإهلال هلاله، والآخر المسافر الـذي يتردد بين الفطر ومواصلة الصوم، والثالث الـذي لا يعرف من صيامه إلا ترك الأَكـل والشرب والنكاح دون حضور قلبي لعظم الأَجـر والثواب، هؤلاء وأمثالهـم قد عـرضوا صيامهم

---

(١) البينة، الآية: ٥.

(٢) رواه أبـو داود ١/ ٧٤٥ برقم (٢٤٥٤)فـي الصيام، بـاب النيـة في الصيام، وابـن خزيمـة (١٩٣٣) وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٧.

للنقص والخلل.

فحري بنا - أخي المسلم - أن نجدد نية الصيام كل ليلة؛ ليعظم الأَجر ويزداد الثواب، ومما يكمل به قبول العمل مع النية: أن يكون الصوم على منهاج رسول الله ﷺ لا يخدش بأي من المفطرات الحسية أو المعنوية.

□ **الوقفة الثانية :**

ومما يحصل عند كثير من الناس حال صومهم: عدم استشعار هدف الصوم وأحكامه وحكمه، فيقع في كثير من المفسدات والمنقصات للأَجر، فلا يكون له من صيامه إلا الجوع والعطش، تأمل أخي الصائم وأنت تارك للملذات بأنواعها: لِمَ فعلت هذا ولم تستطع مخالفته؟ إن إجابتك على مثل هذه الأَسئلة تجعلك تسلك طريق الوصول إلى تحقيق أهداف الصيام التي من أعظمها تقوى الله سبحانه وتعالى.

إن تأملك - أخي المسلم - لحكم الصيام العظيمة الأُخرى يجعلك تحقق صومك وترقي إلى درجة تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، ودخول الجنة من باب الريان، إن الإنسان وهو في غمرة الحياة، وبين مشاغلها ومتعها وتعبها قد يذهل قلبه عن استشعار تلك الحكم، فتأمل يا أخي ما أنعم الله به عليك؛ فأنت آمن في وطنك، شبعان ريّان، تنام على فراشك الوثير، تلتحف الناعم من الفرش، وتأكل الأطايب من الطعام، أليس الصيام الحقيقي يشعرك أن هناك

فئـاتٍ من المسلمين يعـانـون من الجـوع والخـوف ويفترشـون الأَرض ويلتحفون السماء؟

إن الصائم الحقيقي هـو الذي يجيش في قلبـه مثل هذه المشـاعر والخواطر، فيدفعه لأَن يبذل من إمكاناته وقدراته، وما أنعم الله به عليه؛ لتشغيل جميـع جوارحـه بالصيـام، فينطلق في أبـواب الخير المتعـددة مساهماً فيها بقـدر ما منحه الله تعالى، والآخر ـ هدانـا الله وإياه ـ والذي فقـد ـ أو ضعـف عنده ـ استشعـار الهدف والحكـم من تلك العبـادة العظيمة، لم يسجل فـي سجلاته إلا ترك الأَكل والشرب، فـرضي لنفسه أن يعيش بلا طموح يرفعه إلى درجة السابقين بالخيرات.

❑ **الوقفة الثالثة :**

ومن أهـم آداب الصوم: استغـلال ما يحصـل للصائم، من هـدوء نفسي، وخلـو من مشـاغل القلب، وصفـاء في الفكر ـ وهذه غـالباً مـا تحصل للصائم في شهـر رمضان ـ فحريٌّ بـالمسلم الصائم أن يستغل هذا الصفاء ليـدون في سجل أعماله مـا يرضي ربه، فيزودهـا من الخير والتقوى، مبتدئاً بمحاسبة نفسه، وتقويـم نظام حياته السابقة، ليستأنف حياة جديدة مليئة بالطاعة.

ومما يشـار إليه فـي هذا: قراءة كتـاب الله تعالـى الذي كـان يعطيه الرسول ﷺ نصيباً أكبر في شهر رمضـان، وكذا الابتهال إلى الله سبحانه وتعالى بـالذكر والـدعاء، يجيش بهما قلبـه، وينطق بهما لسـانه، فيظل لسانه رطباً بذكر الله، فهو يدرك أنه لا غنى له عن خالقه سبحانه، فيصله

بهذا الذكر العظيم، أضف إلى ذلك نوافل الصلاة، وفي مقدمتها صلاة التراويح التي من أدّاها إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، وكذا بقية الأعمال الصالحة من الصدقات والبر والإحسان وغيرها.

❑ **الوقفة الرابعة:**

إن من أهم آداب الصوم التي لا تتحقق غايته إلا بها: ما وجهنا إليه الحبيب المصطفى ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصوم جُنّة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني صائم»[1].

فإذا تأملت ـ أخي المسلم الكريم ـ هذا التوجيه العظيم؛ وجدت أمراً عظيماً حري بك ـ وأنت تصوم في هذا الشهر المبارك ـ أن تتمثله منهاجاً خلقياً في حياتك، وهذا فضل عظيم، وثواب جزيل، وغاية ينبغي أن يسعى إليها كلُّ من آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولاً، ولن يدرك هذه الغاية إلا من هذّبه صومه، وقوّم خلقه، وأدّب جوارحه، فصومه يمنعه من الفحش والبذاءة، كما يمنعه من دواعي الجماع في نهار رمضان؛ لئلا يقع في المحظور، ويعني ذلك أنه لا يستعمل إلا القول الحسن، والفعل الحسن، مبتعداً عما يخدش صومه من المحرمات أو المكروهات، بل ينبغي أن يصل

(١) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم (١٨٩٤)، ومسلم في الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم (١٦٣).

إلى درجـة أعلى؛ تلكم هـي ضبط النفس، وكبـح الانفعالات عنـد من يعتدي عليه بكلمـة نابية، أو سباب أو شتام، ولا يكتفي بعـدم الرد، إنما ينبه الآخر إلى أن سبب منعه من مجاراته في خلقه المشين هو الصوم.

ألا ما أجمـل الصائم عندمـا يتحلى بتلك الآداب التي تظهـر على الجوارح، وتصور ـ أخي المسلم ـ أن المجتمع المسلم وهو يؤدي هذه العبـادة الجليلـة يتخلق أفـراده بهـذا الخلـق النبيل، لاشـك أن الفـرد المطبق لهـذه الآداب، والمجتمع الذي تنتشـر فيه هـذه الآداب، يكون مدرسـة دعوية تخـرج الصالحين بأعمـالهم وأخلاقهم وسلـوكهم قبل أقوالهم.

فلنعي هـذا معشـر الصـائمين لنحقق الخيـر فـي الدنيـا والآخـرة، ولتقربنا هـذه الآداب من الخالق سبحانـه، ولتزيد نفوسنـا من الصلاح والتقى، وإنما يتقبل الله من المتقين، جعلني الله وإيـاكم هداة مهتدين، وأصلح لي ولكم القصـد، ورزقنا حسن العمل، إنه سميـع مجيب وهو المستعان.



من مفسدات الصوم

الحمد لله الذي امتنّ على عباده المؤمنين بصوم شهر رمضان، وتفضل عليهم بالعفو والغفران، وأصلي وأسلم على نبينا محمد خير من صلّى وصام، وقام لله حق القيام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فقد وقفنا فيما سبق مع ما ينبغي أن يتنبه له كل مسلم صائم، مبتدئاً بتجريد نيته لله سبحانه وتعالى في صيامه وعبادته كلها، مستشعراً الحكمة العظيمة من صومه، محيطاً صومه بكل ما يزينه من أنواع الطاعات والقربات، مستفيداً من هذه الشعيرة العظيمة؛ لتدفعه نحو كل ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى.

ومما يعين على ذلك: أن يجنب صومه كل ما يشينه، أو يخدش صفاءه، أو ينقص أجره، فضلاً عما يحبطه، أو يضيع جهده هباءً منثوراً، ولعلنا نقف بعض الوقفات التي تذكرنا بما ينبغي أن يبتعد عنه المسلم وهو يمارس هذه العبادة الجليلة :

❑ **الوقفة الأولى :**

يقول الله تعالى: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأَبيض من الخيط الأَسود من الفجر ثم

أتموا الصيام إلى الليل﴾[1].

في هـذه الآية الكـريمة ذكر المـولى جل شـأنه أصـول المفطرات الحسية التي ما أن يـرتكبها المكلف عامداً إلا ويفسد صـومه، ويعرض نفسه لخطر عظيم.

في مقدمة هذه المفطرات: الأَكل والشرب، وذلك من طلوع الفجر الثانـي إلى غروب الشمس، والـذي ذكره الله جل وعـلا بقولـه: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأَبيـض من الخيط الأَسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾[2].

فمن أكل أو شرب من بعد أذان الفجـر إلى غروب الشمس من غير عذر فقد ارتكب جرماً عظيماً، واحتمل إثماً مبيناً، روى أصحاب السنن عن أبي هـريرة رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قال: «مـن أفطر يومـاً من غير رخصة ولا مـرض لم يقض عنه صوم الدهر كلـه وإن صامه»[3] وهذا قد يُستـدل به على عِظَـم الوزر، لكنـه لا ينفي وجوب القضـاء والكفارة الثـابتين بـأحـاديث صحـاح أصح مـن هـذا الحـديث، ويتبـع الأَكل والشرب: كل مـا يصل إلى الجوف عن طريق الفم أو الأَنـف أو غيرهما مما يُغذَّى به الجسد.

---

(١) البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) البقرة، الآية: ١٨٧.
(٣) رواه البخاري معلقاً كما في الفتح ٤/ ١٦٠ في الصيـام، باب إذا جامع في رمضان، ورواه أبو داود ١/ ٧٢٩ برقم (٢٣٩٦) فـي الصيام، باب التغليظ في من أفطر عمـداً، والترمذي ٣/ ١٠١ برقم (٧٢٣) في الصيام، باب ما جاء في الإفطار متعمداً.

ومن المفطرات الحسية: الجماع في نهار رمضان، وهو أعظم المفطرات وأكبرها إثماً وأشدها جرماً، فمع بطلان الصوم وفساده يجب القضاء والكفارة المغلظة، وهي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، مع التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله جل وعلا.

ومن هذا نعلم أن هذه الأمور المحظورة في نهار رمضان تعطي دلالة واضحة للصائم بأنه عليه أن يصون صومه، وأن يبتعد عن كل شبهة تؤدي إلى إفساد صومه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه.

ومما ينبه عليه: أن هناك مسائل ومشكلات في المفطرات؛ كخروج الدم، ومقدمات الجماع، وتناول بعض الأَدوية كالبخاخات للفم أو للأنف، وضرب الإبر المغذية والمعالجة، وخلع الأسنان، وغيرها مما يشكل على كثير من الصائمين والصائمات؛ فينبغي أخذ الحيطة وصيانة الصيام، وذلك بسؤال أهل العلم عن هذه القضايا والمسائل؛ لئلا يقع المسلم في المحظور وهو لا يدري، والمشايخ والعلماء كثر والحمد لله، وتيسرت سبل الاتصال بهم، فلم يبق عذرٌ للمقصرين في رفع الجهل عن أنفسهم.

❑ **الوقفة الثانية :**

إذا كان الصوم بهذه المنزلة العظيمة الجليلة، فَرَغِمَ أنفُ عبدٍ لم يستفد من صومه، ولم يقربه إلى ربه سبحانه، ولم يربِّ فيه معانيَ

الرجولة ومقاربة الكمال البشري علماً وعملاً، خلقاً وسلوكاً.

وإن المستفيد من هذا الصوم ـ وبخاصة في هذا الشهر المبارك ـ هو الذي تعمل جوارحه كلها بالصيام، فكما يصوم في النهار عن الطعام والشراب والنكاح، تصوم جوارحه عن كل ما يجرح الصيام، وعمدة هذه الجوارح وملكها القلب، فيصفّي قلبه عن كل ما يكدر صفاءه ونقاءه من الأحقاد والضغائن، والغل والحسد، والظن السيء والبغض.

وكذا اللسان، الناطق عن الجوارح، وأداة الإرسال، والمعبر عن مكنونات الضمير، وما يحمله الفؤاد، وما يجيش به الخاطر، تلك الآلة الخطيرة، والوسيلة الفاعلة التي إن سخرت في مجالات الخير والدعوة أعطت نتائج وثماراً يانعة، وإن سخرت في الشر ـ والعياذ بالله ـ أوردت صاحبها المهاوي والمهالك، ولهذا كثر في وصايا رسول الله ﷺ التنبيه على اللسان، فكم من كلمة رفعت صاحبها في عليين، وجعلته من الآمرين بالمعروف والداعين إلى الخير، وكم من كلمة أودت بصاحبها في أسفل سافلين.

وإذا ما انتقلت إلى سائر الحواس والجوارح من السمع والبصر تجدها كذلك بحاجة إلى تربيتها على البر والطاعات، والمسابقة إلى الخيرات، والمسارعة إلى صنائع المعروف.

ولنتدبر قول الرسول ﷺ فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها، إلى

سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو قاتله، فليقل إني صائم»[1].

فلو رجعت إلى الحديث وكررت تلك العبارة: (يدع شهوته وطعامه من أجلي) فسبب الترك للملذات والشهوات من أجل الله سبحانه وتعالى، أفلا يكون عملنا للواجبات والمستحبات من أجل الله تعالى؟ وتركنا لجميع المحرمات والمكروهات من أجل الله تعالى؟ إن هذه غاية عظمى ترنو إليها القلوب الذاكرة والأفئدة الصافية، ومثل هذه القلوب يحرص الشيطان أن يدخل عليها ليكدر صفوها، بأن يخرق هذا الإخلاص، فيجمع معه نوايا فاسدة من نظر العباد والرياء، أو رغبته في مصالح دنيوية قريبة، ونحو ذلك مما يخدش هذا الإخلاص فيخرج صاحبه من دائرة الأجر والثواب إلى دائرة الإثم، والعياذ بالله.

ثم لنتأمل قوله ﷺ: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم».

تربية أيّما تربية للفؤاد والجوارح، وتحكم في العقل والعاطفة بأن

(١) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ١١٨ برقم (١٩٠٤) في الصيام، باب هل يقول: إني صائم، ومسلم ٢/ ٨٠٦ برقم (١١٥١) في الصيام، باب فضل الصيام.

يكون الموجه لها هو الدين متمثلاً في هذا الصيام، فالصيام هو الذي يمنع الصائم من ممارسة الأَعمال المشينة، والكلام غير اللائق، يؤكد هذا ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[1]، قال جابر رضي الله عنه: (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا يكن صومك وفطرك سواء).

إن قلب المؤمن الصائم أبيض نقي، يحركه الإيمان في شعب الخير المتعددة، ويأتي رمضان والصيام ليغسل ما رَانَ عليه من الأَوساخ والدنس، فلا تجعل الأَعمال المشينة، والممارسات السيئة، تختلط في هذا القلب النقي؛ فَصُنْ جوارحك وحواسك كلها عن ما يغضب ربك ومولاك، فبغض المسلمين وحسدهم والحقد عليهم، والكذب والخيانة، والغش والخداع، والغيبة والنميمة، وقول الزور، واللهو بالباطل، والسباب والشتائم، أمراض خطيرة فتاكة، تكدر صفو الصيام وتفسده، وتورد صاحبها المهالك.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر زللنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يعفو عن أخطائنا، وأن يعيننا على أنفسنا ولا يكلنا إليها ولا إلى أحد من خلقه طرفة عين، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ١١٦ برقم (١٩٠٣) في الصيام، باب من لم يدع قول الزور، وأبو داود ١/ ٧٢٠ (٢٣٦٢) في الصوم، باب الغيبة للصائم.

الفطور والسحور

الحمد لله واسع الفضل والعطاء، أعد للصائمين أفضل الجزاء، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه المتوالية، وآلائه المتتالية، وأصلي وأسلم على النبي الأُمي المبعوث رحمة للعالمين، وهداية للبشرية أجمعين، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والسبق، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن رمضان المبارك يجدد في القلوب الإيمان، ويبعث في النفوس خصال الخير، ويحيي فيها الاقتداء بنبيها محمد ﷺ في أفعاله وأقواله، في فعل الواجبات والمندوبات، وفي ترك المحظورات والمكروهات.

ونحن نعيش في رحاب هذا الشهر المبارك ومعاني الخير قائمة، يجتهد المسلم الصائم في تحري هدي نبينا محمد ﷺ فيقتدي به، ولرمضان والصيام خصوصية أعمالها التي تحتاج إلى وقفات ووقفات، فتقف مع بعض خصوصيات رمضان والصيام تلكم ما جاءنا عن نبينا محمد ﷺ في الإفطار والسحور:

❑ **الوقفة الأُولى :**

السحور هي الأكلة الختام في آخر الليل للصائم، اهتم بها الرسول

ﷺ ووجَّه إلى العناية بها، وتعاهدها، وكان يسميها: الغداء المبارك، كما أخرج النسائي رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بغداء السحور فإنه هو الغداء المبارك»(١).

وجاء تكرار هذه البركة في توجيهه ﷺ فيما رواه الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «تسحروا فإن في السحور بركة»(٢)، وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين»(٣).

حريٌّ بك أخي المسلم أن تنشد هذه البركة التي تأتي ـ والله أعلم ـ من وجه كونها أكلة في وقت فاضل، وقت نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا، ومناداته لعباده المؤمنين التائبين المستغفرين الداعين المستغيثين؛ ليجيب دعاءهم، ويتوب على تائبهم، ويغفر لمستغفرهم، ويغيث مستغيثهم.

ووجه من أوجه البركة: أن هذا الوقت غالباً ليس وقت شهوة أكل وشرب، وإنما يتناول مريد الصيام شيئاً من الأكل والشرب استجابة لمراد الله تعالى وطاعة لرسوله ﷺ، وهذه من أهم صفات المؤمن الحق، أعني الاستجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ.

ومن أوجه البركة أيضاً: أن يتقوّى به الصائم على الصيام فيؤدِّيه

(١) رواه النسائي ٤/ ١٤٦ برقم (٢١٦٤) في الصيام، باب تسمية السحور غداء.

(٢) رواه البخاري ٤/ ١٣٩ برقم (١٩٢٣) في الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب.

(٣) مسلم ٢/ ٧٧٠ برقم (١٠٩٥) في الصيام، باب في فضل السحور، رواه أحمد ٣/ ٤٤، و٥/ ٣٧٠.

بنشاط وقوة، كما يعينه على أداء العبادات الأخرى، ومما يُظهر أثر بركة السحور: اتباع هدي نبينا محمد ﷺ فيه، فإن من هديه صلوات الله وسلامه عليه تأخيره إلى آخر الليل، روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور»(١)، ولا يعني هذا التأخير تجاوز الحدّ، فيأكل الإنسان عند سماع الأذان حتى نهايته كما هو منتشر عند كثير من العامة.

حريٌّ بك أخي المسلم أن تطلب هذه الخيرية، وبخاصة في هذا الوقت المبارك الذي اجتمع فيه شرف اليوم وشرف الشهر، فتستغل هذه المنح العظيمة من الرب سبحانه وتعالى، فبعد استيقاظك وذكرك لله جل وعلا وتطهرك، تستفتح يومك بركعتين أو أكثر لله سبحانه وتعالى، وتدعو الله بما شئت من حاجاتك الدنيوية والأخروية.

❑ **الوقفة الثانية :**

من **خصوصيات رمضان والصيام**: الفطر عند الغروب، ويتم بعد تحقق غروب الشمس، ومن السنة تعجيله كما سبق في الحديث: «لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر وأخّروا السحور»(٢)، وأن يكون هذا الإفطار على رطب، فإن لم يجد فتمر، فإن لم يجد فماء؛ لما روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فتمر، فإن

---

(١) قوله: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» رواه البخاري ٤/ ١٩٨ برقم (١٩٥٧) في الصيام، باب تعجيل الإفطار، ومسلم ٢/ ٧٧١ برقم (١٠٩٨) في الصيام، باب فضل السحور وتأكيده، ورواه أحمد برقم (٢٢٨٦٥).

(٢) تقدم تخريجه آنفاً.

لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء»[1]، وأخرج الإمام مسلم رحمه الله وغيره عن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإنه بركة، فإن لم يجد تمراً فالماء فإنه طهور»[2].

وعند فرحة الإفطار التي نبه إليها الرسول ﷺ بتمام صوم الصائم في كل يوم؛ ينبغي ألا يغفل عن شكر المنعم، والإكثار من الدعاء عند الفطر، فقد روى ابن ماجه وغيره أن النبي ﷺ قال: «إن للصائم عند فطره دعوة لا تُرد»[3].

❑ **الوقفة الثالثة :**

هذه النعم العظيمة؛ من تمام الصيام ذلك اليوم، وتحقيق فرحة الفطر التي قال عنها الرسول ﷺ: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه»[4] واستجابة دعوات الصائم عند فطره، كل هذه النعم تحتاج إلى وقفة مع النفس بتأمل ومحاسبة، ليشكر عليها ربه جل وعلا، الذي تفضَّل جل وعلا فأنعم عليه بهذه النعم وغيرها، ومن مقتضيات هذا الشكر: تجديد الإخلاص لله سبحانه وتعالى في عبادة

(١) رواه أبو داود ١/ ٧١٩ برقم (٢٣٥٦) في الصوم، باب ما يفطر عليه، وأحمد ٣/ ١٦٤، وابن خزيمة (٢٠٦٥)، والترمذي (٦٩٦).

(٢) رواه الترمذي ٣/ ٤٦ برقم (٦٥٨) في الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على غير القرابة، وابن خزيمة (١٦٩٩) في الصيام، باب ما جاء على ما يستحب الفطر، وأحمد ٤/ ١٧، ١٨.

(٣) رواه ابن ماجه ١/ ٥٥٧، برقم (١٧٥٣) في الصيام، باب في «الصائم لا ترد دعوته».

(٤) رواه البخاري ٣/ ١١٨ برقم (١٩٠٤) في الصيام، باب هل يقول: إني صائم، ومسلم ٢/ ٨٠٧ برقم (١١٥١) في الصيام، باب فضل الصيام.

الصيام وفي كل عبادة، والثناء عليه جل وعلا، والدعاء المستمر بأن يديم هذه النعم الجزيلة، وعدم فعل ما يخالف شرعه جل وعلا، تجاه هذه النعم، فيكون جمع بين متناقضين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[2] الآية، وبالشكر تدوم النعم.

□ **الوقفة الرابعة :**

ومما ينبغي أن يؤكد عليه بشأن الفطور والسحور: أن يجتهد المسلم في تحري الحلال الطيب فيهما، وفي كل مال يكتسبه، فيجتهد في طرائق الكسب الحلال وفي سبل تصريف هذا المال؛ فمسؤوليته عظيمة، وعاقبته جسيمة، فالله سبحانه أمرنا بأن نتعامل بالطيبات والأَكل منها، وأخبرنا رسول الله ﷺ فأنه سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾، وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، ويقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وغذي بالحرام فأنّى يستجاب له»[3].

فاحذر أخي المسلم أن تدخل إلى جوفك لقمة حراماً أو شراباً حراماً، فهذه تمثل حاجزاً للدعاء فلا يُقبل، ثم إن تأثيرها يتعدّى إلى أسرتك وذريتك، فتبني بيتك على الحرام، والعياذ بالله.

---

(١) البقرة، الآية: ١٥٢. (٢) إبراهيم، الآية: ٧.

(٣) رواه مسلم ٢/ ٧٠٣ برقم (١٠١٥) في الزكاة، باب قبول الصدقة.

□ **الوقفة الخامسة :**

عندما يتناول المسلم وجبتي الإفطار والسحور مع أولاده وأسرته، ويأكلون أطيب المطاعم والمشارب، بفرح وسرور وغبطة، وحمد وثناء، وشكر لله سبحانه على ما رزقهم من الطيبات، ينبغي للمسلم وهو في حاله هذه أن يتذكر إخواناً له من المسلمين في بقاع من العالم مختلفة لايجدون التمرة ليفطروا عليها، ولا كسرة خبز ليطعموا أولادهم، ولا كوباً من الحليب ليرضعوا أطفالهم، فليكن ـ أخي الصائم ـ صومك وفطرك دافعاً لك لتذكر إخوانك هؤلاء فتجتهد كل الاجتهاد ليشاركك إخوانك في ثمراتك وأكلاتك، فتمد يد العون والمساعدة لهم بأسرع وقت ممكن، والأجر بإذن الله تعالى أسبق: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾ الآية[١].

□ **الوقفة السادسة :**

مما نبّه إليه الرسول ﷺ في تناول السحور من المعاني الإيمانية التي يجب تعميقها في النفوس: مخالفة أهل الكتاب في صيامهم، روى مسلم وغيره عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فصل ما بين صومنا وصوم أهل الكتاب أكلةالسحور»[٢].

حتى في وقت الأكل والشرب ينبغي مخالفة المشركين وأهل الكتاب، وهذا الأمر ـ أعني مخالفة الكفار ـ مبدأ من المبادئ التي وجه إليها الإسلام، وحذر المسلم من خرمها، والانسياق مع الأمم الأخرى في أفعالها وطرائق حياتها، فضلاً عن عباداتها وأعيادها، ولهذا قال

---

(١) المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) رواه مسلم في الصيام، برقم (١٠٩٥).

النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[1]، ولقد كانت عزة الأُمة المسلمة وغلبتها واحترام الأُمم الأُخرى لها حينما وقفت على ما جاء به نبيها محمد ﷺ من عقائد وعبادات وشرائع، وشعرت أنها بما تحمله من هذا الدين فوق الأُمم الأُخرى؛ لأَن معها الحق المنزَّل من عند الله تعالى، أما غيرها فليس لديه إلا أهواء البشر وفلسفات العقول البشرية.

هذه قاعدة عظيمة ـ أعني عزة الأمة المسلمة بما تحمله من هذا الدين ـ فهل يبعث رمضان في نفوسنا هذه القاعدة، فنعلمها ونفقهها ثم نطبقها في جميع شئون حياتنا صغيرها وكبيرها، فنعتز بديننا عقيدة وسلوكاً، شريعة ومنهاج حياة، حتى يعود للأمة المسلمة عزها ومجدها وسؤددها؟ إن كل فرد مسلم صائم ينطلق من صيامه في تطبيق هذا المبدأ العظيم في كل أمر من أمور الحياة، وينبذ كل تقليد وتشبه بالكفرة في دقائق الأشياء وجليلها، وإنك لترى أقواماً ضعف اعتزازهم بدينهم فبهرهم ما عند الغرب والشرق من أفكار منحرفة، وأعرافٍ معوجّة، فظنوا أنهم رقوا بأنفسهم ومجتمعهم مراقي العلا، وما علموا أنهم أذابوا شخصياتهم وتقهقروا بمجتمعاتهم فأصبحوا أذلّاء تابعين لا خير فيهم، لا يحسب لهم حساب، ولا يقام لهم وزن.

أيها المسلمون الكرام:

لنتعلم من مدرسة رمضان عزّنا بديننا، واستقلال شخصيتنا، وعلونا بتمسكنا بشريعة ربنا، أسأل الله تعالى أن يبصرنا بديننا ويفقهنا فيه، وأن يرزقنا الإخلاص في الأَقوال والأَفعال، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

---

(١) رواه أبو داود في اللباس، باب في لبس الشهرة، برقم (٤٠٣١).

الصحـــة ورمضـــان

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واتبع رضوانه، أما بعد:

فقد تحدثنا فيما سبق عن بعض دروس رمضان، وفيما يلي نقف مع درس من هذه الدروس العظيمة، نستفيده من هذا الشهر المليء بالحكم والأسرار، نعم أيها الأخوة المسلمون: إن المسلم يكفيه في الحث على الصيام وغيره من الطاعات أن يقال له: إن الله أمرك بالصيام، دون أن تعدّد فوائده وأسراره؛ وذلك لأن المسلم مطلوب منه العبودية الكاملة لله عز وجل، ولكن مع ذلك علّمنا الله سبحانه وتعالى سِرَّ كثير من العبادات وحِكَمَها؛ لنقف عندها متفكرين عاملين، مدركين أن هذا التشريع الإلهي قام على أساس ما يحقق مصالح الناس وما يدفع عنهم الأضرار، ولذا نجد أن الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات التي بينت الأحكام يعقبها بذكر الحكمة منها، فهو حين أمر المؤمنين بغض أبصارهم نبّهنا إلى الفائدة من ذلك فقال: ﴿ذلك أزكى لهم﴾[1].

وعلى هذا فالمدقق في الصيام يجد أن من أسراره العظيمة: حفظ

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

الجسد والصحة، ومع بعض آثار الصوم الصحية نقف الوقفات الآتية:

□ **الوقفة الأولى:**

جاء في بعض الآثار عن الرسول ﷺ فيما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «سافروا تربحوا، وصوموا تصحوا، واغزوا تغنموا»[1] وهذا الحديث وإن كان في إسناده ضعف إلا أن معناه صحيح، وقد ذكر ابن القيم تأكيداً لهذا ومبيِّناً بعض آثار الصوم الصحية قائلاً: (وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والتقوى الباطنة، وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة، التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ القلب والجوارح صحتها، ويعيد ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[2]، وقال النبي ﷺ: «الصوم جنة»[3] وأمر ﷺ من اشتدت عليه شهوة النكاح ـ ولا قدرة له عليه ـ بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة)[4] اهـ كلامه رحمه الله.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٨٠.

(٢) البقرة، الآية: ١٨٣.

(٣) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ١١٨ برقم ١٩٠٤ في الصيام، باب هل يقول: إني صائم، ومسلم ٢/ ٨٠٦ برقم (١١٥١) في الصيام، باب فضل الصيام.

(٤) لفظ الحديث: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» رواه البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٦ برقم (٥٠٦٥) في النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج»، ومسلم ٢/ ١٠١٨ برقم (١٤٠٠) في =

□ **الوقفة الثانية :**

إننا إذا دقَّقنا النظر في التشريع الإسلامي نجد أنه وضع للمسلم منهجاً متكاملاً في معاملته مع جسده، وهنا أذكر شيئاً من معالم ذلك المنهج:

أولاً : لا شك أن الصحة والعافية من نعم الله عز وجل، والكثير من الناس يفرِّطون في هذه النعمة، فلا يستغلونها بما يفيد وينفع، ولذا فقد ورد في الحديث الصحيح: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[1]، وجاء الحث أيضاً بأن من أفضل الدعاء: سؤال الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، روى الترمذي وغيره عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ قال: «سل ربك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة» ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله أي الدعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، ثم قال: «فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت»[2].

والعافية في الدنيا من أغلى ما يطلبه الإنسان ويتمناه، ومما يزيد العافية: الصوم؛ إذ به تحفظ الجوارح الظاهرة والباطنة.

= النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.

(١) رواه البخاري مع الفتح ١١/ ٢٢٩ برقم (٦٤١٢) في الرقاق، باب ما جاء في الرقاق.

(٢) رواه الترمذي ٥/ ٤٩٩ برقم (٥٣١٢٠) في الدعوات، باب رقم (٨٥)، وابن ماجه ٢/ ١٢٦٥ برقم (٣٨٤٨) في الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية.

ثانياً: لا شك أن الإنسان في هذه الدنيا معرض لابتلاء الله تعالى، وعلى قدر إيمان الإنسان يكون ابتلاؤه، والأمراض بمختلف أنواعها من أنواع الابتلاء، وقد علمنا الإسلام طرقاً كثيرة للوقاية من تلك الأمراض، ومن أهمها:

١ ـ النظافة المستمرة للجسم ظاهراً وباطناً، ونظافة البيوت والمساجد والطرقات، كما أن نظافة الباطن من المعاصي حصانة كبرى من الأمراض الحسية والمعنوية، ومما ورد في ذلك قوله ﷺ فيما رواه الحاكم وغيره: «ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى يعمل بها علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم»[1].

وكم من الأمراض تحصل بسبب مخالفة شرع الله وارتكاب نواهيه؟ وكم من أنواع البلايا حصلت بسبب اختلاط الجنسين اختلاطاً غير شرعي؟

٢ ـ ومن طرق الوقاية: الاهتمام بالمطعم والمشرب، وفي مقدمة ذلك: أن يكون حلالاً طيباً، وأن لا يكون ضاراً بالجسم أو العقل، وفي هذه المناسبة أوجِّه دعوة صادقة للذين ابتلاهم الله تعالى بتناول شيء من المخدرات أو المسكرات وما شابهها كالتدخين مثلاً، واعتادوا على ذلك: وأدمنوا عليه، أوجه دعوة لهم بمناسبة هذا الشهر الكريم أن يحاولوا جادين الإقلاع عن هذه الأمور المحرمة، مستغلين هذا الشهر

---

(١) رواه ابن ماجه ٢/ ١٣٣٢ برقم (٤٠١٩) في الفتن، باب العقوبات، والحاكم ٤/ ٥٤٠ في الفتن والملاحم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

المبارك بما يفرض عليهم من كسر شهوة أنفسهم، مستغلين فترات إجابة الدعاء ليرفعوا أيديهم سائلين الله أن يعافيهم مما ابتلاهم به، والله سبحانه وتعالى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، أوجه دعوة صادقة ليرأفوا بأنفسهم وأجسادهم وأموالهم وأعراضهم وأولادهم، فخطر هذه الأمور عظيم وشرها مستطير.

أيها المسلمون الكرام:

ومن طرق الوقاية أيضاً: الاعتدال في المطعم والمشرب، ومن ذلك ما ورد عن النبي ﷺ من آثار في ذلك، ومنها: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»[1]، ومنها: «إياكم والبطنة فإنها مفسدة للدين، مورثة للسقم ـ يعني المرض ـ مكسلة عن العبادة[2]»، ومنها: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء»[3]، وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي لا يتسع المجال لسردها.

٣ ـ ومن منهج الإسلام الصحي: الإيمان التام بأن ما حصل للإنسان من أمراض ونحوها بعد أخذه بالأسباب ما هو إلا بتقدير الله سبحانه وتعالى، ولا يزيل هذا المرض إلا هو سبحانه وتعالى، فإذا قابل

(١) رواه الترمذي ٤/ ٥١٠ برقم (٢٣٨٠) في الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، وأحمد ٤/ ١٣٢، وابن ماجه برقم (٣٣٤٩) في الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل.

(٢) رواه ابن حبان في المجروحين ٢/ ٣٥ في ترجمة (عبدالله ابن عبدالرحمن الجزري) وذكره ابن حجر في اللسان ٣/ ٣٠٧.

(٣) رواه البخاري ١/ ٢٥٣ برقم (١٥٣) في الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين، ومسلم ١/ ٢٢٥، برقم (٢٦٧) في الطهارة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

هذا المرض بهذه العقيدة يكون مرضه أجراً وثواباً له، روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ الله به سيئاته كما تحطّ الشجرة ورقها»(١)، وروى البخاري أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «عجباً لأَمر المؤمن إن أمره كله خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، و إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٢).

ومع ذلك أمرنا بالأخذ بالأَسباب قبل وقوع المرض بالوقاية منه، وبعد وقوعه بالتداوي بما أحل الله لنا، روى مسلم عن جابر مرفوعاً: «لكل داء دواء فإن أصاب دواء الداء برأ بإذن الله»(٣)، والآثار في هذا كثيرة، ومن أهم طرق العلاج قبل المرض وبعده: الصيام فرضاً ونفلاً، فلله الحكمة البالغة سبحانه من عليم حكيم.

أيها المسلمون الكرام:

ونحن على مشارف ختام شهرنا علينا أن نمعن النظر في مثل هذه الأَشياء، ليتقوى إيماننا وصلتنا بربنا سبحانه، ونمضي في هذه الحياة

---

(١) رواه البخاري ١٠/ ١٢٠ برقم (٥٦٥٩) في المرضى، باب وضع اليد على المريض، ومسلم ٤/ ١٩٩١ برقم (٢٥٧١) في البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من نصب أو حزن أو نحو ذلك.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٩٥ برقم (٢٩٩٠) في الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.

(٣) رواه البخاري مع الفتح ١٠/ ١٣٤ برقم (٥٦٧٨) في الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ومسلم ٤/ ١٧٢٨ برقم (٢٢٠٣) في السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء.

بعزم وصــدق في التمسك بديننا ، وأســأل الله جل وعلا أن يرزقنــا العفو والعافيــة والمعافاة الــدائمة في الدنيــا والآخرة، إنه سميــع مجيب وهو المستعان.

□ □ □

التنافس في الخير

الحمد لله الـذي أمرنا بفعل الطـاعات وترك السيئـات، وحث على اغتنـــام الأوقــات والمـــواسـم الفـــاضـلات بــــالاستبـــاق إلـى الخيرات،والمنـافسةفـي الصالحات، وأصلـي وأسلم على نبينـا محمد وعلى آلـه وزوجاتـه الطاهرات،والتـابعين ومن تبعهـم بإحسان إلـى يوم تبعث البريات، أما بعد:

ما أن يدخـل شهر رمضان المبارك ويهل هـلاله على المسلمين إلا ويحس المسلـم وكأنـه في دورة إيمـانية يليـن بها قلبـه، ويطمئن بهـا فؤاده، ويتقـرب فيها من ربـه سبحانه وتعـالى، وينعم فيها بـالتقلب في الصالحـات وكأنه ينتقـل من روضة إلى روضــة، وكيف لا وهو فـي شهر التنـافس فـي الخيـر، والتسابـق في ميـدان العمل الصـالـح؟ مع هـذا التنافس نعيش سوياً تبياناً له وتوضيحاً وتشجيعاً في الوقفات الآتية:

❑ **الوقفة الأولى :**

خلق الله تعـالـى الإنسان ومنحـه إمكـانـات عظيمة، يقـوم عليهـا معاشـه وحياتـه، وفضلّه بهـا على المخلـوقات، منحـه سبحانـه العقل الـذي يفكـربه، ويميـزبـه بين الخيـر والشـر، والنـافع والضـار، ومنحـه الحواس التـي يحس بها بمـا حوله، ومنحـه الشعور والإحسـاس الذي

تتحرك به عواطفه؛ كل ذلك لتكتمل شخصيته، وتتوازن مقومات حياته.

وهذا كله بلا شك من نعم الله سبحانه على الإنسان، ولذا امتد الناس في معاشهم في هذه الحياة، وصاروا يتنافسون باستغلال هذه الإمكانات، وصارت الحياة ميداناً لهذا التسابق بمختلف أنواع المنافسات، فكلما قلبت طرفك في مشارق الأرض ومغاربها تجد أحوال الناس كذلك.

فهناك فئات من الناس همهم المال، ركزوا جهودهم في جمعه وتصريفه، ويختلف هؤلاء في النظر إليه وفي أساليب جمعه والصرف منه، وفئات أخرى همهم ما يجدُّ ويخترع في دنيا الناس، فما استحدث من آلة إلا والتفكير أسبق إلى ما بعدها، أيها أكثر تسهيلاً وأقل جمعاً، وفئات أخرى وجهوا همهم وإمكاناتهم إلى إرضاء رغباتهم وإشباع شهواتهم، كل بحسب ما يرغب ويهوى، مستغلاً ما استطاع من نعم الله سبحانه وتعالى، ومن الناس من استغل إمكاناته الجسمية والبدنية فوجهها إلى ميادين مناسبة لهذه الإمكانات حتى على مستوى الأُمم بأكملها.

هذه الميادين وغيرها التي يتبارى فيها الناس: ما مكانها وقيمتها في شرع الله سبحانه وتعالى؟ أيعارضها؟ أم يوافقها؟ أم يوجهها ويرشدها نحو نفع البلاد والعباد؟ هذا ما نتناوله في بقية الوقفات:

❑ **الوقفة الثانية:**

لا شك أن ديننا دين الخير والصلاح، ودين السعادة والرخاء، دين

يقر كل ما فيه صلاح الفرد والمجتمع، أقرّ مبدأ المنافسة، وشجع على استغلال إمكانات الإنسان، ووجه إلى ما يستحق بذل الجهد فيه، وخط خطوطاً عريضة وقواعد كلية وأهدافاً تقصد لتحقيقها، وجعل في مقدمة ما يسعى إليه الإنسان وينافس فيه: ما يسعد الإنسان في آخرته، ويُقَوِّم حياته في هذه الدنيا بما لا يتعارض مع السعادة في الأخرى، يقول سبحانه: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾[1] فالهدف من السعي هو الدار الآخرة.

□ الوقفة الثالثة :

على هذا الأَساس المتين والقاعدة العامة وجه المولى سبحانه وتعالى إلى المنافسة والتباري، يقول جل من قائل: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾[2] ويقول جل شأنه: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأَرض﴾[3] ويقول جل ذكره: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾[4] أما ميدان التسابق فهو العمل الصالح، يقول سبحانه: ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾[5] ويقول جل شأنه: ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم

(١) القصص، الآية: ٧٧.

(٢) البقرة، الآية: ١٤٨.

(٣) آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٤) الحديد، الآية: ٢١.

(٥) الإسراء، الآية: ٩.

أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

وفي الحث على هذا التنافس الشريف، يوصي الرسول ﷺ بقوله فيما رواه مسلم رحمه الله: «بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[2]، وروى الترمذي بإسناد حسّنه بعض أهل العلم أن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ؟»[3].

❑ **الوقفة الرابعة:**

هذه الميادين الواسعة للتسابق هي ميادين المؤمنين الصادقين الذين قال الله عنهم: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾[4].

---

(١) البقرة، الآية: ٦٢.

(٢) رواه مسلم ١/ ١١٨ في الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال، والإمام أحمد ٢/ ٣٠٤، ٣٧٢، ٥٢٣.

(٣) رواه الترمذي ٤/ ٤٧٨ برقم (٢٣٠٦) في الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل.

(٤) المؤمنون، الآيات: ٥٧ ـ ٦١.

وقد تمثل صحابة رسول الله ﷺ هذا التسابق الشريف والمنافسة العظيمة على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي، وهاك مثالاً للتنافس الفردي لأَصحاب الهمم العالية والقلوب المؤمنة الصادقة: روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، قال النبي ﷺ: «ما اجتمعت في امرئ إلا دخل الجنة»[1].

أما التنافس الجماعي، فمما ورد فيه ما جاء في الصحيح أن جملة من فقراء الصحابة رضي الله عنهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ شاكين حالهم، غابطين إخوانهم الأَغنياء؛ لأَنهم وجدوا ما ينفقونه، ويتصدقون به ويبذلون، فقالوا لرسول الله ﷺ: «ذهب أهل الدثور بالأُجور ـ أي أهل الأموال ــ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق»[2] همهم ومشكلتهم أن إخوانهم سبقوهم في هذا الميدان العظيم، أحزنهم لأَنهم لم يجدوا ما ينفقون، لكن هذا الدين العظيم يجعل ميادين التنافس كثيرة، لذلك أرشدهم الرسول ﷺ إلى شيءٍ من تلك الميادين يعوض ما فقدوه، دلّهم على ذكر الله تعالى فيسبحونه

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٧١٣ برقم (١٠٢٨) في الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر.

(٢) رواه البخاري ٢/ ٣٢٥، برقم (٨٤٣) في الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، ومسلم ٢/ ٦٩٧ برقم (١٠٠٦) في الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

ويحمدونه ويكبرونه، ثلاثاً وثلاثين دبر كل صلاة، ويختمون المائة بلا إله إلا الله...، هكذا كان السلف رضوان الله عليهم، فهل لنا أن نتشبه بهم ونحن نعيش في رحاب هذا الشهر المبارك؟

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

❑ الوقفة الخامسة :

كل منافس يطمح لنيل مركز متقدم، ولا شك أن ثمار التسابق في ميادين الخير عظيمة، ونتائجها مُرْضِية في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العالمين﴾ الآية[١].

إن التنافس في الأمور الشريفة يزيد المنافس شرفاً وهدىً وتقىً، ويفتح له من الخير ما لم يخطر له على بال، يقول تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾[٢].

---

(١) آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦.

(٢) محمد، الآية: ١٧.

إن التنافس في الطاعات يضاعف الحسنات ويرفع الدرجات، روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء»[1]، ومن أعظم ثمرات المنافسة في الخير القرب من الرب جل وعلا ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾[2] الآية.

أيها المسلمون:

إن أبواب الخير كثيرة ومفتوحة للراغبين، والمؤمن العاقل الحصيف هو الذي يبادر إلى الخيرات، ويقطف من ثمراتها، وبخاصة في هذا الشهر المبارك الذي تضاعف فيه الأُجور، فالله ما دام في الوقت مهلة، وفي العمر بقية، قبل فوات الأوان فيقول المفرط: ليت ليت، ولكن لا تنفع شيئاً ليت.

أسأل الله تعالى أن يرفع درجاتنا، ويكفر سيئاتنا، وأن يعافينا ويعفو عنّا، وأن يوفقنا لما يحب ويرضى، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

□ □ □

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٧٠٤، برقم (١٠١٧)، في الزكاة، باب الحث على الصدقة، والنسائي ٥/ ٧٥ ـ ٧٧ في الزكاة، باب التحريض على الصدقة.

(٢) الواقعة، الآيات: ١٠، ١١.

الدعـــــاء

الحمـد لله القـوي العـزيـز، لـه مـا في السمـوات والأَرض، يقـول للشيء: «كن» فيكـون، أحمده سبحانـه من لطيف خبير، وأشكـره على فضله وامتنانـه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد البشير النـذير، والسراج المنيـر، أفضل الـدَّاعين إلى الله والملتجئيـن إليه فـي السراء والضـراء، وعلى آله وأصحابه والتابعين، أما بعد :

فإن رمضان والصيام لهمـا ارتباط كبير، ووثاق شديـد، مع كثير من الطاعـات والقربـات، فما أن يقـدم شهر رمضـان المبارك إلا ويتبـارى الموفّقون للمـزيد من تلك الطاعات، فيشدّون وثـاقهم مع خالقهم رب الأَرض والسموات، ويـرجعون إلـى أنفسهم ليحاسبـوها علـى التقصير والهفوات، ولازلنـا نعيش في تلك الـرياض المخضرة، المتـزينة بـزينة الإيمان.

فنقف فيمـا يلي مع عبادة عظيمـة جليلة، لهـا شأنها فـي رمضان، وارتباطها الوثيـق بالمسلم في كل زمان ومكان وحال، عبـادة مع شأنها العظيم هي يسيرة على من يسّرها الله تعالـى عليه؛ ذلكم هو الدعاء، وما أدراكم ما الدعاء، إنه الحبل الوثيـق الواصل بين الخالق والمخلوق، له فضل عظيـم، وشروط وآداب مهمـة، وثمار عـاجلة وآجلـة، نعرض مـا

يتيسر من ذلك في الوقفات الآتية:

□ **الوقفة الأولى:**

حقيقة الدعاء: إظهار الافتقار إلى الله، والتبري من الحول والقوة إلا له سبحانه، والاستشعار للذلة، وهو سمة العبودية.

الدعاء هو الاستعانة بالله سبحانه واللجوء إليه ومناداته؛ لجلب النفع والخير، ودفع الأَذى والشر، والدعاء هو الثناء على الله تعالى بما هو أهله وسؤاله خيري الدنيا والآخرة، هذا الدعاء له شأن عظيم في دين الله عز وجل، فالعباد في هذه الحياة لا يملكون لأَنفسهم نفعاً ولا ضراً، فلا غنى لهم عن خالقهم لحظة من اللحظات، تُرى هل يُقدِّر الإنسان ما يحصل له من خير أو شر في ساعاته المقبلة؟ وهل يعلم ما سيكون في غده ومستقبله؟

فالإنسان معلق بالله سبحانه وتعالى، لا يملك لنفسه ـ فضلاً عن غيره ـ خيراً ولا شراً، يقول جل ذكره: ﴿ولا يملكون لأَنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾[1]، ويقول جلت قدرته: ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾[2]، ويقول: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾[3].

---

(١) الفرقان، الآية: ٣.

(٢) الفتح، الآية: ١١.

(٣) الأعراف، الآية: ١٨٨.

❑ الوقفة الثانية :

هذا الدعاء الذي يتلفظ به الإنسان وهو مليء بالشعور بالحاجة إليه تعالى، يتلفظ به بتذلل ورغبة ورهبة، لا غنى لأي فرد عنه في أي حال من أحواله، شدة ورخاء، صحة وعافية، كبيراً وصغيراً.

هذا الدعاء له فضله العظيم وآثاره المباركة، جاءت النصوص العظيمة ببيانها بصيغ مختلفة؛ بالحث عليه تارة، والتشجيع عليه، وبيان أهميته، وعظم نتائجه، تارة أخرى، يقول سبحانه: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[1]، ويقول جل شأنه: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لايحب المعتدين﴾[2].

ومن اللطيف ذكره أن الله جل وعلا قرن الدعاء بالصيام، فبعد أن ذكر الصيام ذكر بعده قوله جل شأنه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾[3].

---

(١) المؤمن، الآية: ٦٠.

(٢) الأعراف، الآية: ٥٥.

(٣) البقرة، الآية: ١٨٦.

□ الوقفــة الثالثــة :

الـدعاء دأب الأنبيـاء والصـالحين، فـاستجـاب الله لهم، ذكـر الله سبحانه عـن نوح عليه السلام: ﴿كذبـت قبلهم قوم نوح فكذبـوا عبدنا وقالـوا مجنون وازدُجِـر. فدعا ربـه أني مغلوب فـانتصر. ففتحنـا أبواب السماء بماء منهمر. وفجرنا الأَرض عيونـاً فالتقى الماء على أمر قد قدر. وحملنـاه على ذات ألواح ودسـر. تجري بـأعيننا جـزاء لمن كان كُفِـرَ. ولقد تركناها آية فهل من مدكر﴾[1].

وقال عن زكـريا عليه السلام: ﴿رب إني وهـن العظم مني واشتعل الـرأس شيباً ولم أكـن بدعـائك ربك شقيًّا. وإنـي خفت الموالـي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليًّا. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا﴾[2].

وهذا إبـراهيم عليه السـلام يتضرع إلى الله حتـى رزقه الذريـة على كبره فحمـد الله وشكره، يقول تعـالى عنه: ﴿الحمد لله الـذي وهب لي على الكبـر إسماعيـل وإسحاق إن ربي لسميـع الدعـاء. رب اجعلني مقيم الصـلاة ومـن ذريتي ربنـا وتقبل دعـاء. ربنـا اغفـر لي ولـوالـدي وللمـؤمنين يـوم يقـوم الحسـاب﴾[3] فلك ــ أخـي في الله ــ قـدوة في الصفوة من الخلق.

---

(١) القمر، الآيات: ٩ ـ ١٥.

(٢) مريم، الآيات: ٤ ـ ٦.

(٣) إبراهيم، الآية: ٣٩ ـ ٤١.

❑ **الوقفة الرابعة :**

كان داعٍ يطمع في استجابة دعائه، وقبول تضرعه، وجلب الخير له، ودفع الشر عنه، وقد أخبر المولى جل وعلا بأن من كرمه وفضله وجوده أن ذلك حاصل لا محالة: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[1]، ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان﴾[2].

ولكن لا تحصل الإجابة إلا بحصول أسبابها، ومن أهمها: إخلاص هذا الدعاء لله عز وجل وعدم إشراك أحد معه غيره من شجر أو حجر أو ضريح أو ولي أو سيد، أو كائنٍ من كان، يقول تعالى: ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾[3] فمن دعا غير الله، نبيًّا من الأنبياء أو ملكاً من الملائكة، أو وليًّا من الأَولياء، أو صاحب ضريح مقبور؛ فقد وقع في الشرك الأَكبر، والعياذ بالله، الذي بيَّن الله مصير أهله: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾[4].

ومن **عوامل إجابة الدُّعاء**: أن يكون مطعم العبد ومشربه حلالاً، فلا يتعامل إلا بالمال الطيب، فالله طيب لا يقبل إلا طيِّباً، فقد جاء في الصحيح أن الرسول ﷺ «ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه

(١) المؤمن، الآية: ٦٠.

(٢) البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣) المؤمن، الآية: ٦٥.

(٤) المائدة، الآية: ٧٢.

إلى السمـاء: يـا رب يا رب، ومطعمـه حرام، ومشـربـه حرام، وملبسـه حـرام، وغذي بـالحـرام، فأنَّـى يُستجاب لـه»[1] ، فإلـى من يتعاملـون بالغش والخديعة وإلـى من ينمون أمـوالهم بالـربا، وإلى من يـأكلون أموال الناس بـالباطل: أن يعلموا أنهم حجبوا دعـاءهم عن القبول، ألا فليتأملوا حالهم قبل فوات الأوان.

ومن المهم في الدعاء: ترك الاعتداء في الدعـاء، وتعجُّل الإجابة، جاء في الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما من مسلم دعا الله تعالى بـدعوة ليـس فيها إثـم ولا قطيعة رحم إلا أعطـاه الله بهـا إحدى ثـلاث خصال: إما أن يعجـل دعوته، وإما أن يـدخرها له في الآخـرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»[2].

❏ **الوقفة الخامسة** :

لا شـك أن المـوفَّقين هـم الـذين يُلِحُّـون على الله فـي الـدعـاء، ويتحـررون أوقات الإجـابـة وأمكنتها، كشهـر رمضـان، وحال الصيـام، والحج وآخر الليـل، وحال انتظار الصلوات، وفي السجـود، وفي البيت الحرام.

كما أن الـدعاء يكمل بـآدابه، فإذا ما دعـا الداعي بـادئاً بحمد الله والثناء عليـه والصلاة على رسـوله ﷺ ويختـم بذلك، مستقبـلاً القبلة،

---

(١) رواه مسلم في الزكاة، باب قبول الصدقة ٢/ ٧٠٣ برقم (١٠١٥).

(٢) رواه أحمد ٣/ ١٨، والتـرمذي ٥/ ٥٢٩ بـرقم (٣٥٧٣) في الـدعوات، باب فـي انتظار الفرج، والحاكم ١/ ٤٩٣ وقال: صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه.

رافعاً يديه، متطهِّراً، آخذاً بجوامع الدعاء، مجتنباً الألفاظ الغامضة والمعاني المتشابهة، محيطاً ذلك بخشوع ورغب ورهب، وصدق لجوء، وحضور قلب، موقناً بالإجابة، صادق الرجاء؛ فحريٌّ أن يجيب الله تعالى دعاءه ويعطيه مسألته بمنِّه وكرمه سبحانه.

❑ **الوقفة السادسة :**

لا شك أن الصدق في الدعاء وقت الرخاء عامل قوي لإجابة الدعاء وقت الشدة، فإن كثيراً من الذين انشغلوا وقت رخائهم وتشاغلوا بالدنيا ،وغفلوا عن الله سبحانه ونسوا طاعته، فإذا ما حل بهم مكروه وكرب أو حاقت به أزمة؛ ذكروا ربهم فأقبلوا عليه ليزيح عنهم هذه الكربة، فهؤلاء أخطأوا، وخالفوا توجيه الرسول ﷺ: «تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[(١)].

ومن المتناقضات في شأن الدعاء: أن يقبل العبد على الله تعالى داعياً راجياً، وهو في الوقت نفسه يشعل الحرب مع الله تعالى بارتكاب ما يسخطه، ويعمل ما يجر الظلم إلى خلقه، فهذا الصنف خادع نفسه وناقض قولُه فعلَهُ، نسأل الله العفو والعافية.

❑ **الوقفة السابعة :**

إن الله سبحانه وتعالى كريم يحب الكرام، فهو أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، ويحب من عباده أن يكونوا كراماً فيكثروا من الدعاء،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٠٧.

ومن أنفع الدعاء: الـدعاء للغير بظهر الغيب، فقد أخبـر الرسول ﷺ بأن على رأس الداعي ملك يقول: ولك بمثل ذلك.

والـداك وإن علـوا، وزوجتك وذريتك، وأوليـاء الأمـور والعلمـاء، وأحبابك وأصدقاؤك، ومن لـه حق عليك، وإخوانك المسلمين في كل مكان.. لا تنسهـم، فكن كريماً وخَصِّـص لهم جزءاً من دعـائك، تقبل الله منا ومنك، أسأل الله الكريم أن يرزقنا إيمـاناً خالصاً، ويقيناً صادقاً، وعملاً صالحاً، ودعاء متقبلاً، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

□ □ □

آداب الذكر

الحمد لله الذي أعد للذاكرين الله والذاكرات مغفرة وأجراً عظيماً، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه وآلائه شكراً جزيلاً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً، أما بعد:

ففي الوقفات الآتية سنعرض عملاً من الأَعمال الفاضلة في كل زمان ومكان، ويتأكّد فضله في هذا الشهر المبارك، ذلكم هو ذكر الله جل وعلا بالقول والعمل.

❑ **الوقفة الأولى :**

ذكر الله سبحانه قد ورد الحث عليه في كتاب الله الكريم في آيات كثيرة وبصيغ متعددة، وبأساليب متنوعة في السنة النبوية القولية والعملية ، بالأمر به والحث عليه، وبيان ما أعد الله للذاكرين، وتارة بالنهي عن المشاغل التي تلهي عنه وغير ذلك.

ولنتأمل في قوله تعالى آمراً المؤمنين بذكره: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً. وسبحوه بكرة وأصيلاً. وهو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً

(١) الأحزاب، الآيات: ٤١ ـ ٤٣.

وخيفة﴾[1]، ويقول جل من قائل: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[2] وفي آيات أخرى يثني سبحانه على أهل الذكر ويبين جزاءهم وما أعده لهم من الثواب العظيم، فيقول سبحانه: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[3] كما توعد سبحانه اللاهين عن ذكره بالخسارة والهلاك، يقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾[4].

□ **الوقفة الثانية :**

بيَّن سبحانه وتعالى أن سر الطاعات وروحها: ذكر الله؛ حيث جعله مصاحباً لجميع الأعمال، فقد قرنه بالصلاة فقال سبحانه: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾[6]، وقال سبحانه عن صلاة الجمعة: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، واذكروا كثيراً لعلكم تفلحون﴾[7]، وقال النبي ﷺ في شأن الحج: «إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة

(١) الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٢) الجمعة، الآية: ١٠.
(٣) الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٤) المنافقون، الآية: ٩.
(٥) طه، الآية: ١٤.
(٦) النساء، الآية: ١٠٣.
(٧) الجمعة، الآية: ١٠.

ذكر الله»[1]، وجعله سبحانه وتعالى مصاحباً للمقاتل عند ملاقاة عدوه، يقول جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[2].

❑ الوقفة الثالثة :

إن فضائل الذكر وفوائده كثيرة جداً، فمن أهمها: أن عاقبته دخول الجنة، روى أبو داود وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا : لا إله إلا الله، دخل الجنة»[3]، ولهذا يحثنا المصطفى ﷺ على تلقين الإنسان عند الاحتضار شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[4].

❑ الوقفة الرابعة :

إن ذكر الله تعالى شامل للقول والفعل في كل زمان ومكان، ولقد أفاضت السنة الشريفة في ذلك كثيراً، ومن ذلك: ما روى البخاري

(١) رواه أبو داود ١/ ٥٨١ رقم (١٨٨٨) في المناسك، باب في الرّمل، ورواه أحمد ٦/ ٦٤، ٧٥.

(٢) الأنفال، الآية: ٤٥.

(٣) رواه أبو داود ١/ ٢٠٧ برقم (٣١١٦) في الجنائز، باب في التلقين، والحاكم ١/ ٣٥١.

(٤) رواه مسلم ٢/ ٦٣١ رقم (٩١٧) في الجنائز، باب تلقين الموتى لا إله إلا الله، وابن أبي شيبة ٣/ ٢٣٧ وابن ماجه (١٤٤٤) في الجنائز، باب ما جاء في تلقين الموتى لا إله إلا الله.

ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم»[1]، وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»[2]، وروى البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»[3] وروى الشيخان أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «يا عبدالله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟لا حول ولا قوة إلا بالله»[4].

ومن أنواع الذكر: الاستغفار في كل وقت، ويتأكد في الزمان

---

(١) رواه البخاري ١١/ ٢٠٦ ح(٦٤٠٤) في الدعوات، باب فضل التسبيح، ومسلم ٤/ ٢٠٧٢ ح(٢٦٩٤) في الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٧٢ ح(٢٦٩٥) في الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، والترمذي (٣٥٩٧) في الدعوات، باب في العفو والعافية.

(٣) رواه البخاري ١١/ ٢٠١ ح(٦٤٠٤) في الدعوات، باب فضل التهليل، ومسلم ٤/ ٢٠٧١ ح(٢٦٩٣) في الذكر، باب فضل التهليل.

(٤) رواه البخاري ١١/ ١٨٧ ح(٦٣٨٤) في الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، ومسلم ٤/ ٢٠٧٦ ح(٢٧٠٤) في الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر.

الفاضل، والمكان الفاضل، يقول سبحانه وتعالى في بيان صفة المؤمنين المتقين: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾[1]، وقال: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾[2]، وقال عن نوح عليه السلام: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾[4].

وكان رسول الله ﷺ يستكثر من الاستغفار، فقد روى أبو داود وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور»[5] مائة مرة، وعن الأغر المزني رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[6].

---

(١) آل عمران، الآية رقم: ١٧.

(٢) المائدة، الآية رقم: ٧٤.

(٣) نوح، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

(٤) النساء، الآية: ١١٠.

(٥) رواه أبو داود ١/ ٤٧٥ برقم (١٥١٦) في الصلاة، باب في الاستغفار، والترمذي ٥/ ٤٦١ (٣٤٣٤) في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، والنسائي في الكبرى ٦/ ١١٩ برقم (١٠٢٩٢) في عمل اليوم والليلة، باب كيف الاستغفار.

(٦) رواه مسلم ٤/ ٢٠٧٥ رقم (٢٧٠٢) في الذكر، باب استحباب الاستغفار والاستكثار، وأبو داود ١/ ٤٧٥ برقم (١٥١٥) في الصلاة، باب في الاستغفار.

□ الوقفة الخامسة :

إن ذكر الله تعالى هو أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه سبحانه ، كما روى الترمذي رحمه الله عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورِق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله»[1].

ومن هنا ينبغي للمسلم وهو يتقرب إلى مولاه في هذا الشهر المبارك أن يرتبط بذكر الله تعالى قائماً وقاعداً، ماشياً وراكباً، يحفظ الأَذكار المأثورة، ويحفظها أسرته وأولاده، فتقترب منه الملائكة، وتبعد عنه الشياطين، كما ورد في أحاديث كثيرة، ويُعلِّم أولاده أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم بداية واستيقاظاً، وأذكار الخروج من المنزل والدخول إليه، وفي سائر الأَحوال كلها، بهذا نحفظ أنفسنا ومجتمعنا من كل سوءٍ وشر.

أيها الصائمون والصائمات:

إن الناظر في واقعنا تجاه هذه الشعيرة المباركة الفاضلة يجد تقصيراً بيِّناً، وغفلة واضحة، واشتغالاً بالملهيات عن ذكر الله، تجد المجالس العامرة بالقيل والقال، والغيبة والنميمة، والمزاح الكثير

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٧) في الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، وابن ماجه رقم (٣٧٩٠) في الآداب، باب فضل الذكر، والحاكم ١/ ٤٩٦.

والضحك المميت للقلب، وغير ذلك مما تشغل به أوقات الشيب والشباب، والرجال والنساء.

أيها المسلمون الكرام:

إن شهر رمضان فرصة عظيمة لتدارك ما مضى من التقصير في سالف العمر، وفيما بقي منه استدراك لما فات، فهلا وقفة مع النفس لمحاسبتها على ما ضيعت من أوقات، وما اشتغلت به عن ذكر الله؟ إن رمضان موسم تجارة رابحة بالذكر وقراءة القرآنِ والدعاء والاستغفار وغيرها من أعمال الخير.

أسأل الله جل وعلا أن يعفو عن زللنا وتقصيرنا، ويضاعف حسناتنا، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، إنه سميع مجيب والله المستعان.



قراءة القرآن (١)

الحمد لله الذي علّم القرآن، وشرع به الأَحكام، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله، ولو كره المشركون، وأنزل عليه: ﴿كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[1].

والصلاة والسلام على من أيده الله بالقرآن، وأناط به تبيين أحكامه وتفصيل شرائعه، وعلى آله وأصحابه الذين حملوا إلينا القرآن، وعلى من اتبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

ففي الدرس السابق كان الحديث عن فضل ذكر الله عز وجل وارتباط المسلم به في كل أحواله.

وفي الوقفات الآتية نتحدث عن أفضل الذكر: كتاب الله تعالى الذي أنزله الله جل وعلا في شهر رمضان المبارك :

□ **الوقفة الأولى :**

لم تعهد البشرية في تاريخها كتاباً كان له من التعظيم والعناية والخدمة مثل ما كان للقرآن الكريم منذ نزوله إلى يومنا هذا، حفظاً وفهماً وتدبراً، وتنافساً في تفسيره وشرح آياته، وبيان فضائله، واستنباط

(١) الزمر، الآية: رقم ٢٣.

معانيه ووجوه إعجازه، إلى غير ذلك مما يتعلق بالقرآن الكريم، فهو كلية الشريعة وعمدة الملة، كتاب فتحت به أمصار، وجثت عنده الرُّكب، ونهل من منهله العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وذلّت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون الراكعون الساجدون، فإن خير الناس من تعلم القرآن وعلّمه، كما بين ذلك رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(١).

فكما أن فضل القرآن فاضَ فعمَّ الشهر الذي أنزل فيه فصار أفضل الشهور، والليلة التي أنزل فيها فصارت أفضل الليالي، فقد عمَّ فضله أيضاً على الناس فصار خيرهم من تعلّم القرآن وعلّمه.

☐ **الوقفة الثانية :**

لقد نعت الله عز وجل القرآن بأوصاف عدة، حريٌّ بالمسلم أن يقف عندها متأملاً عظمة هذا الكتاب العظيم، ومتدبراً ما فيه من الآيات والذكر الحكيم، يقول جل وعلا: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾(٢)، ويقول تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾(٣)، ويقول جل ذكره واصفاً القرآن: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾(٤)،

---

(١) رواه البخاري ٩/ ٧٤ رقم (٥٠٢٧) في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وأبو داود (١٤٥٢) في الصلاة باب ثواب قراءة القرآن، والترمذي (٢٩٠٧) في ثواب القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن.

(٢) البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) المائدة، الآيات: ١٥ ـ ١٦.

(٤) سورة صّ، الآية: ٦٧.

إلى غير ذلك من الآيات المبينة عظمة القرآن، فهو هدى للناس، ونور مبين، وموعظة وشفاء ورحمة وفرقان ونبأ عظيم، إلى آخر ذلك من النعوت العظيمة والأوصاف الجليلة التي ينبغي أن يقف أمامها المسلم متدبراً ومتأملاً، متزوداً ومتأدباً.

☐ الوقفة الثالثة :

يقول الله سبحانه وتعالى في فضل التالين لكتابه المتدبرين له: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾[٦] ويقول جل وعلا آمراً بتلاوة كتابه: ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾[٧].

فتلاوة القرآن الكريم من أفضل العبادات، وأعظم القربات، وأجل الطاعات، خاصةً في هذا الشهر المبارك الذي تضاعف فيه الحسنات، إن الله تعالى رتب على قراءة القرآن الكريم أجراً كبيراً، فكرم الله تعالى عظيم، ومنّته واسعة، وعطاؤه بلا حساب، حتى إن القارئ الذي يجد في قراءة القرآن مشقة وصعوبة له أجران، أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو

(١) فاطرة، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٢) الكهف، الآية: ٢٧.

عليه شاق فله أجران»[1]، ذكر أهل العلم أن الأجرين أحدهما على القراءة، والثاني لمشقتها على القارئ.

ومن عظيم فضل القرآن الكريم على أصحابه أنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لهم، فعن أبي أُمامة الباهلي رحمه الله فيما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأَصحابه»[2] فأي حظ وأي فوز لمن كان له القرآن الكريم شفيعاً؟

❑ **الوقفة الرابعة :**

وكما ورد الحث على تلاوته وتدبره؛ فقد ورد الوعيد لمن هجره بأي نوع من أنواع الهجر، إن ترك تدبر القرآن وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وعدم امتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، وترك العمل به والعمل بغيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه، وعدم تحكيمه إلى تحكيم غيره، وعدم قراءته أو حفظ شيء منه، من هجرانه أيضاً، روى الترمذي وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[3].

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٨/ ٦٩١ برقم (٤٩٣٧) في التفسير، سورة عبس، ومسلم ١/ ٥٤٩ برقم (٧٩٨) في صلاة المسافرين، باب فضل الماهر بالقرآن.

(٢) رواه مسلم ١/ ٥٥٣ برقم (٨٠٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن.

(٣) رواه الترمذي ٥/ ١٦٢ رقم (٢٩١٣) في فضائل القرآن، والدارمي ٢/ ٥٢١ رقم (٣٣٠٦) فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٣.

فهل بعد هذا يطيب لمسلم أن يهجر كتاب الله تعالى؛ فيفوت الأَجر العظيم، ويتعرض للوعيد والعذاب الأَليم؟

□ **الوقفة الخامسة :**

لاشك ــ أخي المسلم ـ أن الغاية الكبرى والمقصود الأَعظم من تلاوة القرآن هو فهمه وتدبُّره والعمل به، أَما التلاوة بلا فهم ولا تدبُّر ولا عمل؛ فلا تخرج صاحبها من دائرة الهجر للقرآن والتعرض للوعيد.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فإما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى. قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾[١].

لا شك أن المسلم العاقل يربأ بنفسه عن أن يكون مع الذين يُنسون في الآخرة، ولهم في الدنيا معيشة الضنك والهم والقلق، أعاذنا الله و إياكم منهم.

فلنحافظ على كتاب الله قراءة وتدبراً، حفظاً وفهماً، قبل فوات الأوان، فهو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، وشرعه الحكيم، ورسالته الخالدة، ومعجزته الدائمة، ورحمته الواسعة، ونعمته السابغة، وهو نور الأَبصار والبصائر إلى طريق الله ورسوله، ولا نجاة بغيره، إنه

---

(١) طه، الآيات: ١٢٣ ـ ١٢٦.

خاتم الكتب، أنزل على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم بدين خُتمت به الأَديان.

رزقنا الله وإياكم تلاوة كتاب الله حق تلاوته، وجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، إنه سميع مجيب، وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

قــراءة القــرآن (٢)

الحمد لله الواحـد الأحد الفرد الصمد، الذي لـم يلد ولـم يولد ولم يكن له كفـواً أحد، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلـى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد تحـدثنا في الـوقفات السابقـة عن كتاب الله عـز وجل، وفضل تلاوتـه، ووجوب العنايـة به وتدبره، ولازال لنـا بعض الوقفـات مع هذا الكتاب العظيم:

❑ **الوقفة السادسة :**

ذكر السيوطي رحمـه الله في معرض حديثه عن وجـوه إعجاز القرآن الكـريم: أن قارئ القـرآن لا يملّ من قـراءتـه له، وسـامعه لا يسأمـه ولا يمجّه، بل الإكباب على تلاوته يزيـده حلاوة، وترديده يوجب له محبة، وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد، ويملّ مع الترديد.

والسيوطي بذلك يشير إلى وصـف رسول الله ﷺ للقرآن، فقد أخرج الترمـذي وغيره أن رسول الله ﷺ وصف القـرآن الكريم بأنـه: «كلام الله الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولايشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه»[١].

---

(١) رواه الترمـذي ٥/ ١٥٩ برقم (٢٩٠٦) فـي فضائل القرآن، بـاب فضل القرآن، والـدارمي ٢/ ٥٢٦ برقم (٣٣٢١) في فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن.

كلمات موجـزة من جوامع كلمه ﷺ، تلكم المعانـي العظيمة كان تأثيـرها على أصحـابه رضـوان الله عليهم كبيراً، علمـاً وتعلماً، أخـلاقاً وسلوكاً، فهماً وتطبيقاً.

قال عثمان بن عفـان رضي الله عنه: (لو طهرت قلـوبكم ما شبعتم من كلام ربكم).

وقال الشاعر:

تزداد منه على ترداده ثقة   وكل قول على الترداد مملول

حقًّا لـو طهرت قلـوبنا ما شبعـت من القرآن، ولكـان السأم والملل أبعد ما يكون منـا عند تلاوتها القرآن، ذلك أن شأن القلـوب المؤمنة أن لاتكل ولا تمـل من تلاوتـه، فليراجـع كل مسلم نفسـه وليصلح شأنـه، ويتعاهد قلبـه؛ فإن من يدرك من نفسـه مللاً عن تلاوة القرآن أو سـآمة، فقلبه يحتاج إلى تطهير.

❑ **الوقفة السابعة :**

إن من خير مـا يشغل به الصائم نفسه: تـلاوة القرآن وتدبر معـانيه؛ تأسياً بهدي نبينا محمد ﷺ، حيث ضرب صلوات الله وسلامه عليه من نفسه مثلاً لتعاهد القرآن، فقد كـان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن ، وكان ﷺ يقرأ علـى أصحابه ويستقرئهم ويحثهم علـى القراءة، ويعقد الرايـة لأكثرهم حفظاً، وفي الحـديث المتفق عليه :أنه ﷺ كـان يقول: «تعاهدوا هـذا القرآن، فوالذي نفسـي بيده لهو أشد تفلتـاً من الإبل في عقلها»[1]، ومسألة تعـاهد القرآن هذه من المسائل المهمـة التي بحثها

---

(١) رواه البخاري مع الفتـح ٩/ ٧٩ برقم (٥٠٣٣) في فضائل القـرآن، باب استذكـار القرآن، =

السلف مـن أهل العلم، وبيّنـوا المدة التـي إذا تجاوزهـا المسلم فإنـه يخشى أن يكون هاجـراً للقرآن، قال إسحاق بن راهويـه: (يكره للرجل أن يمر عليـه أربعون يوماً لا يقـرأ فيها القرآن) ومعنى: (لا يقـرأ فيها) أي: يقـرأ القرآن فيهـا كامـلاً حتى يختمـه، إذ أن المسلم يقـرأ في صلواتـه الخمس، وذكر ابن كثير في مقابل ذلـك أنه يكره للمسلم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاثة أيام.

ومع ذلك فإن واقـع بعض المسلمين اليوم تجاه كتـاب ربهم واقع لا يُرضى، فقد حرموا أنفسهم فضلاً عظيماً، وحظًّا وثواباً جزيلاً.

أخرج التـرمذي وغيـره عن ابن مسعود رضي الله عنـه أنه قـال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتـاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الٓم) حـرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[1].

فلو أخـذت المصحف بيدك ثـم قرأت خمس دقـائق ثم حسبت ـ إن شئت ـ عدد الأحرف، وضربتهـا بعشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، ثم نظرت إلى ذلـك الرقم الهائل للحسنات التي ستظفـر بها إن شاء الله تعالى فـي هذا الزمن اليسيـر مع إخلاص النيـة! تُرى لو استغل كـل منا

= ورواه مسلم ١/ ٥٤٥ رقـم (٧٩١) في صـلاة المسـافـرين، بـاب الأمـر بتعاهـد القـرآن، والدارمي ٢/ ٥٣١ رقم (٣٣٤٩) في فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن.

(١) رواه الترمذي ٥/ ١٦١ برقم(٢٩١٠) فضائل القرآن، باب رقم (١٦).

وقت فراغه لقراءة القرآن وتدبره؛ فلك أن تتأمل كم من الحسنات سننالها؟!

❑ الوقفة الثامنة :

روى الإمام أحمد والحاكم وغيره بسند رجاله رجال الصحيح عن عبدالله بن بريك عن أبيه قال: «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القران، أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وأنا لك اليوم وراء كل تجارة، قال: فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولون: بم كسينا هذه؟ فيقال لهما: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذًّا كان أو ترتيلاً»[1].

أيها الإخوة الكرام :

إن من نعم الله على هذه البلاد أن مُلئت بمدارس تحفيظ القرآن الكريم، وتناثرت الدور وحلقات المساجد في الصباح والمساء لتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه، فإلى كل أب انشغل بالدنيا عن أبنائه وبناته، وإلى كل أم جعلت متابعة الأزياء الجديدة والتردد على الأسواق والحدائق شغلها الشاغل:

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/ ٣٤٨ من حديث أبي موسى الأشعري في آخر الحديث، والدارمي ٢/ ٥٤٣ برقم (٣٣٩١) في فضائل القرآن، باب في فضل البقرة وآل عمران.

أن ينتبهوا مـن الغفلة، ويستيقظـوا من هذه الغفـوة تجاه كتـاب الله تعـالـى، وليستغلـوا الفــرص المتـاحـة مـن تلكم المــدارس والـدور والحلقـات المنتشـرة المتـوفرة ولله الحمـد، فخيـر مـا تقـدمـه لنفسك ولناشئتك: تعليمهم كتاب الله تعالى وتنشئتهم عليه.

❑ **الوقفة التاسعة :**

كل قـارئ للقرآن يرجـو الانتفاع بتـلاوته، والاستفادة منـه، لعل الله تعالـى أن يكتبه من أهله، يقـول ابن القيم رحمه الله تعـالى: (إذا أردت الانتفـاع بالقـرآن فاجمع قلبـك عند تـلاوته وسمـاعه، وألـق سمعك، واحضر حضــور من يخاطبه بـه من يتكلم به منـه إليه، فإنه خطـاب منه لك على لسان رسول الله ﷺ، يقول تعـالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[1]).

ومما يعين على التدبر والخشوع والانتفـاع بالقرآن الكريم: حضور القلب، وأن يستحضـر المسلـم حال القـراءة أن الله سبحـانـه وتعـالى يخـاطبـه وحـده بهـذا القرآن، ومنـه: ألاّ يستعجـل القـارئ ويسـرع في القراءة، فقـد ورد التحذيـر من ذلك، ومن المهم كـذلك: الوقـوف عند آيات الـوعد والوعيد؛ ليسـأل الله عند الوعـد، ويستعيذ به عند الـوعيد، ويقف عنـد الأوامر ليمتثلها، والـزواجر لينـزجر عنها، والقصــص ليتأمل فيها ويأخذ العبرة.

---

(١) سورة قٓ، الآية: (٣٧).

أيها المسلمون والمسلمات :

هـذا شهـر رمضان ونفحـات المـولى جـل وعلا تتـرى، ونعمـه لا تحصى، ها هـو شهر رمضان لا يزال يظللنـا بخيره، وبالقرآن الـذي أنزل فيه، بصيامه وقيامه، فهل نتدارك تقصيرنا في تلاوة القرآن وقد مضى منه أيام عدة؟ فقارئ القرآن يعرف بليلـه إذ الناس ينامون، وبنهاره إذ الناس يفطـرون، وببكائه إذ النـاس يضحكـون، وبـورعه إذ النـاس يخلطـون، وبصمته إذ الناس يخـوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالـون، وبحزنه إذ الناس يفرحـون، كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه في معـرفة قارئ القرآن.

أسأل الله تعـالى أن نكـون كذلك، وأن يـرزقنـا حفظ كتابـه وتدبـره وفهمه، وأن يجعلنـا ممن يكون القـرآن شاهداً لـه وليس عليه، وشـافعاً وشافياً وهادياً، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



قيام الليل والتراويح

الحمد لله على إحسانه، والشكر له علـى توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمـاً لشأنـه، وأصلي وأسلم على نبينـا محمد وعلـى آله وأصحابه، والتابعين ومن سار على نهجه واتبع سنته، أما بعد:

فإن رمضـان مـدرسـة إيمانيـة يتـزود منها المـؤمنـون من الإيمـان والتقوى، كيف لا وهـو عبادة مستمرة طول ساعـات الليل والنهار؟ فمن قراءة وذكر، إلى صلاةوتهجد، ومن بـر وإحسان، إلى صدقة وزكاة، وأمر بالمعـروف ونهي عن المنكـر وغيرهـا، ويحيط بهـذه الأعمال الخيـرية الفاضلة: انشغال الخاطر والتفكير بمـا يقرب إلى المولى عز وجل، في تنافس محمود، وتسابق إلى جنات الخلود.

وإن ممـا يشجع على هـذا التسابـق في هـذا الشهر المبـارك تلك الشعيرة العظيمـة التي يتسم بها رمضان بطـابع جماعي خـاص، وتتوق إليها نفس المـؤمن الطامعة بـرضا الله عز وجـل، الراجية لما عنـده مما أعده لعباده المتنافسين في الصالحات، الخائفة مما توعّد به الكافرين والعصاة.

وإن لمحة تطـوف بها على المسـاجد بعـد صلاة العشاء فـي هذا الشهـر العظيم إلا وتجد المـؤمنين زرافـات ووحدانـاً، تهيأت نفـوسهم

لأَداء صلاة التراويح، وأحضروا قلوبهم لمناجاة رب الأَرباب، وأفرغوا خواطرهم لتلك العبادة، فلعل قرباتهم ودعاءهم يستجاب.

ومع قيام الليل والتراويح نقف بعض الوقفات :

□ **الوقفة الأولى :**

صلاة التراويح في رمضان أنموذج لصلاة الليل التي نوّه المولى جل وعلا بشأنها في كتابه العظيم، مبيناً فضلها وعظم شأنها، وأن كل مؤمن متصف بها محل للثناء والمدح.

قال تعالى في بيان الصفة المؤمنين الصادقين: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾[1] الآية، فمن صفات المؤمنين إذاً: عدم إطالتهم للنوم في الليل فلا يذهب الليل سدىً، وإنما يكون هناك جزء للقيام والدعاء طمعاً فيما أعده الله سبحانه وتعالى لأَهل القيام، وخوفاً من عقاب الله سبحانه وتعالى، ولذا فإنه لا يتخيل أحد جزاءهم عند الله سبحانه وتعالى، أليس هو القائل سبحانه: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ لماذا؟ ﴿جزاءً بما كانوا يعملون﴾.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح فيما رواه مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[2].

---

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٦، ١٧.

(٢) رواه مسلم ٢/ ٨٢١ برقم (١١٦٢) في الصيام، باب فضل صوم المحرم، وأبو داود (٢٤٢٩) والنسائي ١/ ٢٤٠.

وإن المتمعن في صلاة الليـل لَيجدُ لها طعماً خاصـاً، حيث هدأة الليل وسكونه، وخلو القلب من مشـاغل النهار، ورجوع الفرد إلى نفسه، كل هـذه عـوامل تسـاعد علـى الخشوع والـرغبـة والرهبـة والقـرب من المولى سبحانـه، وكلها عوامل مؤدية إلى صـدق هذا الخشوع، وصدق اللجوء إلى الله سبحانـه، فيقرأ القائم مستحضراً ما يقرأ ومتفـاعلاً معها، وإذا دعـا دعا وليـس بينه وبين الله حجـاب، وكلمـا أرخىٰ الليل ستـاره وزاد ظلامـه، واستغرق الناس في نومهـم؛ كانت الصلاة ألذ والمنـاجاة أكمل، ولـذا منح الله القـائمين آخـر الليل مـزية خـاصـة، فينزل الـرب سبحانـه وتعالى نزولاً يليق بجـلاله وعظمته إلـى السماء الدنيا، مـوجهاً نداءه إلى الطـامعين في مرضـاته، والراجيـن لما عنده، والخـائفين من عقابه، يوجه نداءه لكل داعٍ ومستغفر ومستغيث: هل من داعٍ فأستجيب له؟ وهل من مستغفر فأغفر له؟ وهل من تائب فأتوب عليه؟

فيا أيها الصائمون:

لنجعل رمضـان مذكراً لنـا بهذه الفضـائل؛ لنؤوب إلى الله تعـالى، ونعالـج أنفسنا؛ لعل المـولى جل وعـلا أن يمنحنا القبـول والرضـوان، فتكون صـلاة التراويح معينـاً لنا فـي كل وقت على قيـام الليل، فينطبق علينا قول المولى جل وعلا عن عباده المؤمنين: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون﴾[1].

(1) الذاريات، الآيات: ١٧، ١٨.

❑ الوقفة الثانية :

صلاة الليل - أخي المسلم - في رمضان لها مزية وفضيلة على غيرها، ذلك أن لذة الصيام والقيام تجتمعان فيه، روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

فالدافع للقيام أمران عظيمان: الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والاحتساب لما أعد جل وعلا للقائمين من الأجر والثواب؛ ويعني هذا أنه لا مكان للنية غير الصالحة من الرياء والسمعة والمباهاة أو غير ذلك من النوايا الدنيوية، ومن كانت نيته كذلك فحظه من قيامه التعب والسهر، والعياذ بالله.

❑ الوقفة الثالثة :

صلاة التراويح في رمضان من قيام رمضان، ومن السنن المؤكدة، روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «رأيتُ الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم»، تقول عائشة رضي الله عنها: «وذلك

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ٢٥٠ (٢٠٠٨) في صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، ومسلم ١/ ٥٢٣ (٧٥٩) في صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان.

في رمضان»[1].

وفعل الرسول ﷺ هذا يدل على أن صلاة التراويح تصلى جماعة أو فرادى، فالرسول ﷺ صلّاها في البداية جماعة، ثم تركها رأفة بأمته وشفقة عليهم؛ لئلا تفرض فيشق ذلك عليهم فلا يُطيقونها، لكن السلف الصالح رضي الله عنهم رغّبوها جماعة؛ لما في ذلك من التشجيع على العمل الصالح، وعدم التكاسل عنها، ولدفع التفرقة والاختلاف، وهذا ما دفع الخليفة الراشد عمربن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه لجمع الناس على إمام واحد، يقول عبدالرحمن ابن القاري: (خرجت مع عمربن الخطاب رضي الله عنه إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه).

□ **الوقفة الرابعة :**

من هدي السلف الصالح في هذه الصلوات المباركة: التأني فيها، والطمأنينةُ بأدائها، بل كانوا يطيلونها جداً، بل روي عن بعضهم أنهم يعتمدون على العصيّ من طول القيام.

وهذا يشعرنا بأن من يسرع فيها سرعة مخلة أو لا يطمئن فيها، أو

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٣/ ١٠ برقم (١١٢٩) في التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ومسلم ١/ ٥٢٤ برقم (٧٦١) في صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان.

يكون همه أكبر قدر ممكن من القراءة دون تدبُّر وخشوع؛ فهذا أخطأ على نفسه إن كان منفرداً، وأخطأ على المصلين إن كان إماماً، لكن ينبغي أن لا تعني هذه الإطالة إرهاق المأمومين وتحميلهم ما لا يطيقون، فينفرون منها، والاعتدال في كل شيء مطلوب.

وقبل أن نختم حديثنا عن هذه الشعيرة المباركة، وفي لمحة على واقع بعض المصلين، نجد اهتماماً يسر المؤمن بهذه الصلاة، وتجاوباً وتفاعلاً أرجو أن يثاب عليه، غير أنه يطغى على بعض الناس طلب إمام معين ـ وقد يكون بعيداً عن منزله ـ فيفوِّت الفريضة مع الجماعة أو بعضها، وهذا بلا شك طلب أجراً وأخفق فيما هو أهم منه، ومثل هذا ينبغي أن يصلي في مسجده القريب، أو يبكر للصلاة فلا تفوته الفريضة.

وهمسة أخرى لتلك النساء المؤمنات الحريصات على فعل الخير وطلبه، واللاتي يسرعن لصلاة التراويح في المساجد، وتلك محمدة طيبة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[1]، ولكن لتعلم كل مؤمنة ــ بإيجاز سريع ــ أن صلاتها في بيتها أفضل، وإذا خرجت إلى المسجد فلتطبق آداب الخروج: من التزام الحجاب الشرعي، وعدم التطيب والزينة، وأن لا تخرج مع السائق لوحدها؛ فتطلب أجراً وترتكب إثماً.

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٣٨٢ (٩٠٠) في الأذان، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، ومسلم ١/ ٣٢٧ برقم (٤٤٢) في الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد.

أخي المسلم :

هـذا الشهـر الكـريم مـا هـو إلا ليالٍ معـدودة، وأوقـات محـدودة، فالمـوفَّق من يغتنمها قبل فـواتها؛ بالاجتهـاد في الطاعات، ليفـوز برفع الدرجات، وزيادة الحسنات، وتكفير السيئات، بإذن الله تعالى.

أسأل الله جل وعـلا أن يمن علينا بـالمغفرة والرضـوان، والعتق من النيران، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

□ □ □

العمـــــرة

الحمد لله الذي امتنّ على عباده المؤمنين بواسع فضله وعطائه، وأجزل لهم الأَجر والمثوبة على ما يقومون به من أعمال صالحة، أحمده على قدره وقضائه، وأشكره على جزيل نعمه وآلائه، وأصلي وأسلم على البشير النذير والسراج المنير، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن على نهجهم وخطاهم يسير، أما بعد:

فإن للعبادة في هذا الشهر المبارك طعماً خاصاً، يتذوقه المؤمنون الصادقون، الذين يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم ربهم أجورهم ويزيدهم من فضله، ومن هنا تجد السباق بين هؤلاء المؤمنين بأداء مختلف العبادات، مفروضة ونافلة، ويزداد طعم هذه العبادات في هذا الشهر الكريم؛ لمضاعفة الأجور فيه، وتكفير السيئات، ومحو الأوزار والآثام.

والعمرة إلى بيت الله الحرام في هذا الشهر المبارك لها مقام جليل ليس في غيره من الشهور، وشجون العمرة وأحوالها في زمننا كثيرة، نقف معها الوقفات الآتية:

❑ **الوقفة الأولى :**

العمرة إلى بيت الله الحرام لها فضل عظيم وثواب جزيل، تكفّر بها

الذنوب، وترفع بها الدرجات، ويـزداد فيها ذكر الله سبحانه وتعالى، جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والعمـرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»[1].

فإذا أدّى المسلم هذه العبادة بإخـلاص ورغب ورهب، يرجو ثواب الله ويخشى عقـابـه، ويطلب رضـاه، واستشعـر معنى هـذه العبـادة لله سبحانه وتعالى؛ تحقق له ما يرجوه من الثواب العظيم.

❑ الوقفة الثانية :

ينـوي مريـد العمرة السفـر إلى بيت الله الحـرام؛ لأداء هذه العمـرة خالصة لله عز وجل، فيكون سفره هذا سفر طـاعة وقربة فيؤجر على نيته، وينتقي من مـاله أجوده ليصـرفه في هذه الطـاعة العظيمة، ويـركب ما تيسّر لـه من المراكـب متجهاً إلى مكـة المكرمة، داعيـاً بدعـاء السفر، فيحيطه الله بعنـايته ورعايته، تـاركاً أهله وأمـواله وأحبابه ووطنـه، فيزداد ثوابه؛ لتـركه هذه الأمور لله سبحانـه وتعالى، شاغلاً وقت سفـره بالقراءة والذكر والتفكر والمحاسبة.

فإذا وصل إلى الميقـات الذي يبدأ منـه أعمال عمرتـه، يتجرد من ملابسه المعتادة، مغتسلاً ومطيِّباً بدنـه، ومزيلاً ما يزال من الشعر، لابساً ردائين أبيضين نظيفين ـ هـذا للرجل ـ وأما المرأة فتلبـس ما شاءت من الثياب المباحة لها، غير أن لا تكون ثياب زينة أو تشبه بالرجال، أو تظهر

(١) رواه البخـاري مع الفتـح ٣/ ٥٩٧ (١٧٧٣) في العمـرة، بـاب العمـرة، ومسلم ٢/ ٩٨٣ (١٣٤٩) في الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة.

شيئاً من جسدها.

وفي هـذا الموقف فرصـة عظيمة للتأمل والمـراجعة فبالتجـرد من الملابس المعتادة والاغتسال، يستشعر المعتمر أنـه خلع ذنوبه السالفة واغتسل منهـا، وظهر أمـام ربه جـل وعلا بمظهـر آخر جـديد، صفحتـه بيضاء نقيـة، فكأنه يقول: هـا أنذا ربي جئتك طـامعاً في مغفـرة ذنوبي راجعـاً منها كيـوم ولـدتني أمي، فـالله سبحـانـه أكرم الأكـرمين وأجـود الأَجودين، فحريّ أن يجيـب سؤاله ويلبي آماله، وبلباسـه لباس العمرة يشعر بأنه بدأ حياة جديدة خالية من الذنوب.

ثـم يـركـب مركـوبه ويلبـي بالعمرة، نـاوياً لهـا بقلبه قـائلاً: «لبيك عمرة، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شـريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، معلناً استجابته لله جلّ وعلا، وتوحيده غير مشرك معه أحـداً غيره، مسدياً له الفضل والنعمة علـى تمكينه من هذه العبادة، ويبـدأ بالطـواف بالبيت عنـد وصوله إليـه سبعة أشـواط مبتدئاً بالحجر الأسود مقبِّلاً له إن استطاع، أو مشيراً له بيده، ومكبِّراً عند بدايته وكلمـا حاذاه خـلال أشـواطه السبعـة، كمـا فعل ذلك رسـول الله ﷺ، ويصلي ركعتين بعده وهما سنة الطواف، متجهاً بعدها إلى الصفا راقياً له مكبـراً وداعياً الله بما شـاء، ثم يتجه إلى المـروة ويرقاهـا ويفعل كما فعل عند الصفا، فاعلاً ذلك سبعة أشـواط؛ ذهابه شوط، ورجوعه شوط آخر، فيبدأ بالصفا، وينتهي شوطه السابع عند المروة.

وخـلال أشواط الطـواف والسعي، لـه أن يدعـو الله بما أحـب من

خيري الدنيا والآخرة، أو يقرأ من كتاب الله ما شاء، أو يشغل وقته بالذكر، وبعد نهاية الشوط السابع من السعي يحلق رأسه أو يقصر، والحلق أفضل؛ فالرسول ﷺ دعا للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة واحدة[1]، أما المرأة فليس لها إلا التقصير من شعرها قدر أنملة فقط.

وبهذا تتم العمرة، شاكراً العبد ربه عز وجل على إتمامها، راجياً له أن يتم ثوابها، طامعاً في تكفير سيئاته.

□ **الوقفة الثالثة :**

والعمرة في رمضان لها شأن خاص ومكانة جليلة، ثبت في الصحيح أن امرأة من الأنصار جاءت إلى النبي ﷺ لم تتمكن من الحج معه، قال لها النبي ﷺ: «إذا كان رمضان فاعتمري فيه فإن عمرة في رمضان تعدل حجة»[2]، وفي رواية لأحمد: «العمرة في رمضان تعدل حجة معي»[3]، أي مع رسول الله ﷺ ، والمراد ـ والله أعلم ـ أن هذه العمرة تعدل الحج في الثواب وفيما لها من تعظيم لشعائر الله، وفي تأثيرها على الإنسان، فإذا كان الحج المبرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة، وإذا رجع ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه،

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٥٦١ (١٧٢٧) في الحج، باب الحلق والتقصير عند الإحلال، ومسلم ٢/ ٩٤٥ (١٣٠١) في الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير، وجواز التقصير.

(٢) رواه البخاري ٣/ ٦٠٣ برقم (١٧٨٢) في العمرة، باب العمرة في رمضان، ومسلم ٢/ ٩١٧، برقم (١٢٥٦) في الحج، باب فضل العمرة في رمضان.

(٣) رواه أحمد ١/ ٣٠٨، وابن ماجه ٢/ ٩٩٦ برقم (٢٩٩٣) في المناسك، باب العمرة في رمضان.

فإن الـذي يـؤدِّي العمـرة في رمضـان خالصـة مقبـولـة يحصل لـه من الفضل مثل ذلك، وفضل الله واسع وعطاؤه لا ينفد.

ولقد وعى المـوفقون من عبـاد الله المؤمنين هذا المكسـب الرابح؛ فكثـر المعتمرون في هـذا الشهـر المبارك، جـامعين بين شـرف الزمـان والمكان، لا حرمهم الله الأَجر والثواب.

❑ **الوقفة الرابعة :**

إن هذه العبادة اليسيرة عملاً، العظيمـة فضلاً، حريّ أن يتأملها كُلُّ قائم بها، مستشعـراً قيمتها، متفقهاً في أعمالها، فهي عبـادة قائمة على الامتثال والتجرد لله سبحـانه وتعالى، يقول عمـر بن الخطاب رضي الله عنه أثنـاء تقبيله للحجر الأسـود: (والله إني لأَعلم أنك حجـر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)[1]، فالداعي لهذا العمل هو الاقتداء بالرسول ﷺ.

ولذا فإن الـذي يقوم بالعمرة غيـر عارف لحِكَمِها، أو بنية تخـالطها المباهاة والمـراءاة ونحوها، أو قام بـأداء الحركات خاليـةً من الخشوع، وردَّد الأَذكار بلا تدبُّـر؛ فهذا لـم يستفد من عمرته، ولـم يظهـر عليه أَثرها، وهذا ــ للأَسف ــ هو حـال كثير من النـاس، فهل من وقفـة مع النفس؛ لتدارك التقصير، والنـدم على ما فات، وأداء العمرة بـالقلب والجوارح جميعاً؟

(١) رواه البخاري ٣/ ٤٧١ برقـم (١٦٠٥) في الحج، باب الرّمل فـي الحج والعمرة، ومسلم ٢/ ٩٢٥ برقم (١٢٧٠) في الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف.

❑ الوقفة الخامسة:

تطبيقـات المعتمريـن لعمرتهـم تشوبهـا تصـرفات تخـرجهـا عن إطارهـا الشرعي، وتوقـع صاحبها في أخطـاء شرعية، وإن التسـاهل في أداء العبادة، وعـدم فقهها، والسـؤال عما يجهلـه نحوهـا، أو سؤال أي شخص يوجـد أمامه على أنـه من أهل العلم، هـذه من رؤوس الأَخطاء التي يقترفها كثيـر من المعتمرين، فالعبادة لاتكون مقبـولة إلا إذا كانت خالصة لله عزوجل، ومتابعاً فيها العبد هدي محمد ﷺ.

ومن يظن أن العمرة لا تكتمل إلا بالجلوس في مكة فترة من الزمن، وقد يصطحب معه عائلته من بنيـن وبنات، وهو يجتهد في أداء العبادة منشغلاً عنهم غيـر متابع لسلوكهـم وتصرفاتهم داخل المسجـد الحرام وخارجه؛ فهذا أخطأ في حق نفسه وأسرته وتعرض للإثم والوزر.

لا شـك أن المكث فـي بيـت الله الحـرام للصـلاة فيـه والقــراءة والاستماع إلى دروس العلم، من القربـات العظيمة، والصلاة فيه تعدل مائة ألف صـلاة فيما سواه، لكن ينبغي ألَّا يسبب ذلك خلـلاً من أوجه أخرى، وبما لا يضيع من خلالـه الأسرة والأَولاد، ولتعلم المرأة المسلمة أن صلاتهـا في بيتها يحصـل لها بها الأَجـر المضاعف، بـل هي أفضل لها، لكن إذا خرجت إلى المسجد الحـرام فلتخرج بآداب الخروج: من عدم الزينة والتطيب، والالتزام بالحجاب الشرعي.

واعلم ــ أخي المسلـم ـ أن للمسجـد الحرام والـرحـاب الطاهـرة آدابها العظيمـة من الاحترام والتقدير والهيبـة والإجلال ما ليس لغيـرها،

فالتساهل من الماكثين فيه من أصوات مزعجة وقيل وقال، ومخالفات في المأكل والمشرب، وتسييب للأطفال، وما يفعله بعض الناس المعتكفين فيه من عدم الاهتمام بهذا البيت العظيم؛ فأخشىٰ أن يكون ذلك كله داخلاً في قوله تعالى: ﴿ومن يُرِد فيه بإلحاد بظلمٍ نذقه من عذاب أليم﴾[1]، فينبغي للمسلم أن يرعى المصلحة الشرعية في كل أحواله وسلوكه وتصرفاته.

أسأل الله أن يرزقنا الفقه في دينه، والإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

(١) سورة الحج، الآية: ٢٥.

الزكاة والجود والإنفاق(١)

الحمد لله الذي فرض الزكاة تزكية للنفوس وتنمية للأموال، ورتب على الإنفاق في سبيله الثواب الجزيل والأجر العظيم، وبخاصة في هذا الشهر الكريم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدِّين، أما بعد :

أيها المسلمون الكرام :

شهر رمضان شهر المسارعة إلى الخيرات والجود والكرم، والبر والإحسان، وشهر المواساة وتلبية الحاجات، شهر التعاون والتكافل، ومع بعض هذه المعاني نقف الوقفات الآتية :

❑ **الوقفة الأولى :**

إمام الأئمة صلوات الله وسلامه عليه هو أول السابقين إلى الجود والبر والإحسان، روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة)[1]،وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في

(١) رواه البخاري مع الفتح ٩/ ٤٣ برقم (٤٩٩٧) في فضائل القرآن، باب كان جبريل =

هديه في الصدقة: (كان رسول الله ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى، ولا يستقله، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج؛ آثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان ينوع في أصناف عطائه، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً،وكانت صدقته بما يملكه وبماله وبقوله، فيخرج ما عنده، ويأمر بالصدقة ويحض عليها ويدعو إليها بفعله وقوله، فإذا رآه البخيل والشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف)[1].

ثم يقول رحمه الله: (إذا فهمت ما تقدّم من أخلاقه ﷺ، فينبغي للأُمة التأسي به ﷺ في السخاء، والتمسك بالاقتداء به، والإكثار من ذلك في شهر رمضان؛ لحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل الكثيرين منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم، ولشرف الزمان، ومضاعفة أجر العامل فيه، وإدامة الصائمين والقائمين والمتعبدين على طاعتهم؛ فيكتب له مثل أجورهم)[2] اهـ كلامه رحمه الله، ولا

= يعرض القرآن على النبي ﷺ، ومسلم ٤/ ١٨٠٣ برقم (٢٣٠٨) في الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس.

(١) زاد المعاد.

(٢) زاد المعاد.

تعقيب عليه؛ فهو للمسلمين صلوات الله وسلامه عليه قدوة وأسوة.

□ **الوقفة الثانية :**

لا شك أن من أعظم الحقوق المالية على الإنسان: الزكاة المفروضة، أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، وقرينة الصلاة في المنزلة والأحكام، وتردد ذكرها في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة؛ لعظم شأنها، وعلو مكانتها، وبيان أهميتها، يقول تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾[2]، ولذا رتّب الله سبحانه وتعالى الفضل العميم والثواب الجزيل على إخراجها، وجعلها خلفاً عاجلاً في الدنيا، وآجلاً في الآخرة، يقول سبحانه: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾[3]، وجعل الحسنات فيها تضاعف أضعافاً كثيرة، يقول جلّ من قائل: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون في السراء

---

(١) المزمل، الآية: ٢٠.
(٢) البقرة، الآية: ٤٣.
(٣) سبأ، الآية: ٣٩.
(٤) البقرة، الآية: ٢٦١.

والضـــراء والكـــاظمين الغيـظ والعـــافين عـن النـــاس والله يحـب المحسنين﴾[1].

☐ الوقفة الثالثة :

كما أن لـدافع الزكـاة أجراً عظيمـاً وثوابـاً جزيلاً؛ فـإن مانع الـزكاة ارتكب جرمـاً كبيراً وإثماً عظيمـاً في الدنيا والآخـرة، فقد قاتل أبـو بكر رضي الله عنـه من منـع الـزكاة التـي يؤديهـا إلـى رسول الله ﷺ، أخـرج الشيخان عن أبـي هريرة رضي الله عنـه قال: «لما تـوفي رسول الله ﷺ، وكان أبـو بكر رضي الله عنه، وكفر مـن كفر من العرب، فقـال عمر رضي الله عنـه: فيم تقـاتل النـاس وقد قـال رسول الله ﷺ: «أُمـرت أن أقـاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله) فمن قالهـا عصـم مني ماله ونفسه إلا بحقـه وحسابـه على الله عـز وجل»؟ فقـال: والله لأُقـاتلـن من فـرق بين الصـلاة والزكـاة، فإن الـزكاة حق المـال، والله لـو منعونـي عقالاً ــ وفي رواية: عنـاقاً ـ كـانوا يؤدونهـا إلى رسول الله ﷺ؛ لقاتلتهـم على منعها، قال عمـر: فوالله مـا هو إلا أن قـد شرح الله صـدر أبي بكر رضـي الله عنه فعرفت أنه الحق»[2].

والوعيـد في الآخرة أشد، كمـا روى الشيخان أيضاً عن أبي هـريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «ما من صاحـب ذهب ولا فضة لا

---

(١) آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

(٢) رواه البخاري (١٣٩٩) في الـزكاة، باب وجـوب الزكاة، و(١٤٥٦) فـي الزكاة، بـاب أخذ العناق فـي الصدقـة، ومسلم ١/ ٥١ رقم (٩٢٠) في الإيمـان، وأبو داود في الـزكاة بـرقم (١٥٥٦).

يـؤدي منها حقهـا إلا إذا كان يـوم القيامـة صفحت لـه صفائح من نـار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بهـا جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيـدت له فـي يوم كـان مقـداره خمسين ألف سنـة، حتى يُقضـى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[١] وهذا النص الصريح مصداق قوله تعـالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضـة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعـذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكـوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[٢].

□ **الوقفة الخامسة :**

أخرجـوا زكاة أموالكم طيبـة بها نفوسكـم؛ تكن طهرة لكم، وتـزكية لقلوبكم، وأمانـاً لأموالكم وطهرة وتنمية لها، كما قال سبحـانه وتعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[٣].

أدّوا زكاة أمـوالكم تكن جُنة لكم عن النـار، كما قال الـرسول ﷺ: «اتقوا النـار ولو بشـق تمرة»[٤] «والصدقـة تطفىء الخطيئة كمـا يطفىء الماء النار»[٥].

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٦٨ بـرقم (١٤٠٢) مختصراً في الزكـاة، باب إثم مانع الـزكاة، ومسلم ٢/ ٦٨٠ برقم (٩٨٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٤) رواه البخاري (١٤١٣) فـي الزكاة، بـاب الصدقة قبـل الرد، ومسلم (١٠١٦) في الـزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

(٥) رواه الترمـذي ٥/ ١٣ برقم (٢٦١٦) فـي الإيمان، باب مـا جاء فـي حُرمة الصـلاة، وابن ماجه ٢/١٤٠٨، برقم (٤٢١٠) في الزهد، باب الحسد.

أدّوا زكاة مالكم؛ لتسلموا من عواقبه الوخيمة، كما قال الرسول ﷺ: «من أدّى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره»[1].

أدوا زكاة مالكم قبل أن تذهبوا عنه أو يذهب عنكم؛ فيكون عليكم غرمه ولغيركم غنمه، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول العبد: مالي، مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»[2]، وصح عن رسول الله ﷺ أيضاً أنه قال: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدّم، ومال وارثه ما أخّر»[3].

أدّوا زكاة أموالكم؛ تغفر لكم ذنوبكم، وتضاعف حسناتكم، يقول تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فَنِعِمَّا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفِّر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾[4].

أيها المسلمون :

اغتنموا هذا الموسم العظيم فهو موسم تجارة رابحة، يتنافس فيه المتنافسون، فأكثروا من الزكاة والصدقة والإنفاق؛ لتزكو أموالكم، وتطهر

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٣/ ٦٣، وكنز العمال ٦/ ٢٩٧ برقم (١٥٧٧٨).

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٢٧٣ برقم (٢٩٥٩٠) في الزهد، باب الزهد والرقائق، والترمذي ٤/ ٤٩٤ (٢٣٤٢٠) في الزهد باب (٣١).

(٣) رواه البخاري ١١/ ٢٦٠ برقم (٦٤٤٢) في الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له.

(٤) البقرة، الآية: ٢٧١.

نفـوسكم، وتسدوا حـاجات إخـوانكم، وتشـاركوا فـي غزو أعـدائكم، وتتعاونوا على البر والتقوى، فاليوم عاملون وغداً محاسبون ومجزيون.

أسأل الله الكريـم أن يغفر لنا في هـذا الشهر الكريـم، وأن يعفو عن زلاتنا وأخطائنا، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

الزكاة والجود والإنفاق (٢)

الحمد لله الذي أنعم علينا بالأموال، وشرع لنا تصريفها بالطرق الحلال، فيما يرضي الكبير المتعال، وصلى الله على نبينا محمد صاحب أفضل الخصال، وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فقد تحدَّثنا فيما سبق من وقفات عن أهمية الزكاة في الإسلام، وضرورة الإنفاق في سبيل الله، والفضل العظيم الذي أعده الله سبحانه وتعالى للمنفقين أموالهم في السراء والضراء، والوعيد الشديد لمن بخل وشحّ وأمسك ماله.

وفيما يلي نواصل الحديث في الموضوع نفسه، ولنا فيه وقفات:

❑ **الوقفة الأولى:**

إن من أهم شروط إخراج الزكاة: النية الصالحة، فالأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، ولقوله تعالى: ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدِّين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾[1]، فعلى المخرج: الإخلاص والتجرد، فلا يبتغِ بذلك رياء ولا سمعة، فإنها بذلك تكون عليه حسرة ووبالاً، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن الذين يبتغون الرياء والسمعة وغيرها من المقاصد الدنيوية الفاسدة

(١) البينة، الآية: ٥.

يعرضــون أنفسهم لخطر عظيم، فقــد روي في الصحيح عن أبي هــريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعــت رسول الله ﷺ يقول: «أول الناس يقضى يوم القيـامة عليه ثـلاثة... وذكر منهــم: رجلاً وسع الله عليه وأعطـاه من أصناف المال، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيهـا إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليُقال: جواد ـ أي سخي كـريم ـ فقد قيل، فسحب على وجهه ثم أُلقي في النار»[1].

ومما يسـاعد على الإخلاص: الإسـرار في إخراجها، فهـو أبعد عن الريـاء والسمعة، وأدعى للتجـرد، وأبعد عن ذل الفقير، وقـد ورد أن من السبعـة الـذين يظلهم الله فـي ظلـه يـوم لا ظل إلا ظلـه: رجل تصــدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه[2].

☐ الوقفة الثانية :

أن يتحرى مخرج الزكاة بأن يعطيهـا مستحقيها، وهم أهلها الثمانية الذين ذكرهم الله فـي قوله تعالى: ﴿إنما الصدقـات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهــم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله

(١) رواه مسلم ٣/ ١٥١٣ برقـم (١٩٠٥) في الإمارة، باب من قـاتل للريـاء والسمعة استحق النار، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

(٢) رواه البخـاري ١٢/ ١١٢ برقـم (٦٨٠٦) في الحـدود، بـاب فضل من تـرك الفـواحش، ٣/ ٢٩٢ برقم (١٤٢٣) في الزكاة، بـاب الصدقة باليمين، ومسلم ٢/ ٧١٥ (١٠٣١) في الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.

وابن السبيل﴾(1)، فاحذر - أخي المسلم - أن تخرج زكاة مالك لغير هؤلاء الأصناف الثمانية، وحاول جهدك واستطاعتك أن توصلها إلى من ينتفع بها أكثر من غيرهم، وبخاصة أهل التقوى الذين لا يمدون أيديهم ولا يسألون الناس إلحافاً، وتزداد الخصوصية إن كانوا طلبة علم؛ فإن في إعطائهم إعانة لهم على العلم ونشر الدين، ولا يتعلل المخرج بأنه لا يجدهم، بل بالبحث والسؤال والتحري يجد بغيته، فلا تفرط في ذلك فإن هذا الأَمر دين.

وإن من المؤسف أن نرى بعض الناس اعتاد أن يعطي زكاة ماله أناساً لا يستحقونها، كأن يكونوا أغنياء مثلاً، ويعلل ذلك بأنها عادة لا يريد أن يقطعها، والبعض يعطيها أشخاصاً يتظاهرون بالفقر والمسكنة مع أن لديهم قدرة على التكسب والعمل لكن وجدوا الراحة بأخذ الزكاة، والبعض الآخر يعطيها بعض أقاربه الذين تجب نفقتهم عليه، فهؤلاء وأمثالهم لا يستحقون الزكاة، ومن علم عنهم قبل إعطائهم الزكاة فلا تسقط عنه.

ومن الجدير ذكره هنا أن الزكاة ينبغي أن تُصرف على الأَقارب الذين لا تجب نفقتهم على المزكي، ففي ذلك بِرٌّ وصدقة، وينبغي كذلك أن تصرف على المجاهدين في سبيل الله، وهذه أيضاً صدقة وجهاد، وله أن يوزع زكاة ماله على أصناف متعددين من الأَصناف الثمانية؛ لتعم فائدتها ونفعها.

---

(1) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

□ الوقفة الثالثة :

أن ينفق من ماله أجوده وأحبه إليه، وما كان حلالاً، فالله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ولا تيمَّموا الخبيث منه تنفقون﴾[١]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[٢]، وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: (كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت في قبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يشرب من ماء فيه طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل عليك: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب مالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أمرك الله، فقال رسول الله ﷺ: «بخ بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فجعلها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)[٣].

---

(١) البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) آل عمران، الآية: ٩٢.

(٣) رواه البخاري مع الفتح ٣/ ٣٢٥ برقم (١٤٦١) في الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ومسلم ٢/ ٦٩٣ برقم (٩٩٨) في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين.

❏ **الوقفة الرابعة :**

أن يحاول المعطي والمزكي استصغار عطيته، فإن المستعظم للفعل معجب به، والإعجاب إذا دخل على النفس أفسدها، وإذا مازج القلب أفسد الإخلاص، لذا ينبغي أن يتذكر المزكي أن المال مال الله وهو وديعة عنده، فالفضل في ذلك كله لله عز وجل، وليشكر الله تعالى بقوله وعمله على ما أنعم عليه بهذا المال، وعلى ما يسّر له أداء حقه.

❏ **الوقفة الخامسة :**

أن لا يفسد زكاته بالمنّ والأذى، ذلك أن الإنسان إذا رأى نفسه محسناً إلى الفقير منعماً عليه بالإعطاء، ربما حصل منه ذلك، ولكنه لو حقق النظر لرأى أن الفقير محسن بقبول حق الله الذي هو طهرة له، وإذا استحضر مع ذلك أن إخراجه للزكاة شكر لنعمة الله الذي أعطاه؛ فلا يبقى بينه وبين والفقير معاملة، ولا ينبغي أن يحتقر الفقير لفقره؛ لأن التفاضل ليس بالمال، ولا النقص بعدمه.

❏ **الوقفة الأخيرة :**

أن يحاول المسلم أن ينفق مما لديه مهما كان قليلاً ولو لم تجب عليه الزكاة، وسواء أنفق للفقراء والمساكين، أو في مشاريع الخير المتعددة، كتحفيظ القرآن الكريم، والإسهام في جمعيات البر الخيرية، وبناية المساجد، والتبرع للمجاهدين، ورعاية الأيتام،

وغيرهـا، فكل هذا يُخْلِفُـهُ الله سبحانه وتعـالى: ﴿وما أنفقتـم من شيء فهـو يخلفه هـو خيـر الـرازقين﴾[1]، ويقـول سبحـانه: ﴿ومـا تقـدمـوا لأَنفسكم مـن خير تجـدوه عند الله هـو خيراً وأعظم أجـراً﴾[2]، ويقول الرسول ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[3].

أخي المسلم:

إن بعض من أنعم الله عليهـم بنعمة المال، تجده ينفق هـذا المال في مجالات اللهـو والترف والكماليـات بلا حساب؛ فإذا نـودي للخير والمساهمة فيه؛ بخل وأمسك، إلا إذا كـان يرجو من وراء ذلك مصلحة دنيوية، فهذا وأمثاله قد عـرضوا أنفسهم لخطر عظيم في الدنيا والآخرة، أوَلم يعلم بأن الله تعالـى سائله غداً عن هذا المـال: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟

أسأل الله تعـالى أن يـرزقنـا الإخلاص فـي الأَقوال والأَعمـال، وأن يصلح ما فسد من الأحوال، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



(١) سبأ، الآية: ٣٩.

(٢) المزمل، الآية: ٢٠.

(٣) رواه البخاري (١٤١٣) في الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، ومسلم (١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.

رمضــان والصبــر

الحمد لله رب الأَرباب ومسبب الأَسباب، يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، أحمده سبحانه على ما قضاه وقدره، وأشكره على وافر نعمه وسابغ فضله، وصلى الله على سيد الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فإن رمضان المبارك مدرسة إيمانية يتعلم فيها المؤمنون دروساً من الفضائل الحميدة، والخصال الكريمة، ويتربَّون فيها على الإخلاص والتقوى.

وذلك أن الصيام يذكِّر المسلم بأمور عظيمة قد يغفل عنها في سائر أيامه، فتأتي هذه العبادة العظيمة لتفيقه من الغفلة، وتذكره من النسيان، وتعينه على ما تذكر، ومن أهم هذه الدروس التي يتلقاها المسلم من مدرسة الصيام ورمضان: الصبر، وما أدراك ما الصبر! تلك الخصلة الحميدة، والخلة الكريمة، لا يقوى عليها إلا الأفذاذ والعظماء، ولا يتحلى بها إلا الموفقون وأقوياء الإيمان، فبين الصبر والصيام علاقة وطيدة، ورابطة وثيقة، وللصبر أحوال وأقسام وثمار ونتائج، مع هذه العلاقة وتلك الأَحوال والثمار نقف الوقفات الآتية:

□ **الوقفة الأولى :**

من المعلوم أن الصيام امتناع عـن الأَكل والشرب وسائر المفطرات والشهوات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمـس، فالصائم بهذه الحالة يمتنع عن ملذاته ويقهر نفسه، ويكبح نزواته، ويرتدع عن شهواته.

والنفس بطبيعتها ميّـالة إلى ما تشتهيـه وتهواه، فإذا ما قهرهـا العبد واجـه صعوبـة من الصعـوبات، فـإذا تغلَّب عليها أفلـح ونجا، وصـار يتحكم في نفسه ولا تتحكم بـه، وعقله يغلب عاطفته، وإيمـانه يسيطر على هواه، وهذا من ثمار الصيام.

والعبد نجح في هذا الدرس العظيـم، وتقرّب إلى مولاه، فجمع بين حالين من أحوال الصبـر، صبر على طاعة الله تعالى بصيـامه، وصبر عن معصيـة الله تعالـى بصيـامه، وهـذا فضل الله يـؤتيـه من يشـاء، والله ذو الفضل العظيم.

□ **الوقفة الثانية :**

إن الله سبحانـه وتعالى خلـق الناس في هـذه الحياة، ولم يتـركهم سدى يعيشون في الأَرض كيف شاؤوا، لا يعرفـون ربًّا، ولا يدينون بدين، ولا يتعـاملـون بخُلُق، خلقهـم وكلّفهم وابتـلاهـم على هـذا التكليـف ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الذي خلق الموت والحياة ليبلوكـم أيكم أحسن عملاً﴾[1]، ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنـا وهـم لا يفتنون﴾[2]، فكلفهم الله سبحانه وتعـالى بعبادته في

(١) الملك، الآيتان: ١، ٢.

(٢) العنكبوت، الآية: ٢.

هـذه الأَرض التـي استخلفهـم فيهـا ﴿ومـا خلقـت الجن والإنـس إلا ليعبدون﴾[1].

وعبادة الله سبحـانه: أمر ونهي، فعل وتـرك، قيام بأوامر الله سبحـانه وتعالى، واجتناب لـزواجره ونواهيه، ومن رحمته سبحـانه أن دلّهم على الخير وسبلـه؛ ليعرفوه ويقومـوا به، وعرفهـم الشر ليتركوه ويبتعـدوا عنه، جعل الخير موصلاً إلى جنته ورضـاه وحفّ ذلك بالمكاره، وجعل الشر موصلاً إلى عذابه وعقابـه وحفّ ذلك بالشهوات؛ فَكُلٌّ مِن عمل الخير وترك الشـر يحتاج إلـى مجاهدة ومصـابرة، صبـر على فعل الطـاعات، وصبر على ترك المعـاصي والشهوات، وصبر على الأَقدار الجـارية التي تخالف رغبات النفس وشهواتها.

فهذا الصبـر عامـل أساس، وعنصـر مهم، ووسيلة لا غنـى للمسلم عنها في السير في دربـه في الحياة ليخرج منها سالمـاً غانماً، فهل نعى هذا أيهـا المسلمون الكـرام؟ فنجعله أمـام أعيننا فـي جميع حالاتنـا؛ فيسهل علينا فعل الطاعات، وترك السيئات؟

❑ **الوقفة الثالثة :**

لا شك أن طـاعة الله تعالـى وتنفيذ أوامـره تحتاج إلى صبـر عليها؛ لأَن منها ما تنفر عنده النفـس بسبب الكسل كالصلاة، أو بسبب البخل كالـزكاة، أو بسببهما جميعـاً كالحج والجهاد، أو بسبـب ضعف النفس أمام شهواتها كـالصيام، وهكذا فكل عبادة لله سبحانـه وتعالى يتم فيها فعل تحتاج إلى عزيمة وصبر.

---

(١) الذاريات، الآية: ٥٦.

ولا شك أيضاً أن عزيمة النفس تجاه المعاصي بأنواعها، وبخاصة ما تميل إليه النفوس وترغبه وتهواه ـ ولو كان في ذلك مضرة لها ـ بحاجة إلى صَدٍّ لهذه النفس وإرغامها على تركها، والنفس بطبيعتها ميالة إلى رغباتها وشهواتها، وقد تنجرُّ وراء أشياء محرمة ومكروهة، فما أحوج المؤمن إلى إرغام نفسه بترك هذه الشهوات المحرمة والمكروهة، وما أحوجه إلى الصبر عنها، وبخاصة ما يثقل على النفس كالغيبة والكذب والمراء، والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، والازدراء والسخرية والاحتقار، والحرص على المال والجاه، وغيرها.

أيها المسلم الكريم :

والإنسان في هذه الحياة لا يدري ما يعترضه من أقدار الله سبحانه التي لا تقع باختياره، من الأمراض المؤلمة، وموت القريب أو الصديق، واجتياح المال، وغير ذلك مما يقدره الله سبحانه وتعالى لحكمة يعلمها، يبتلي عباده بذلك ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[1]، والنفس تميل إلى التسخط والجزع والاعتراض على المقدور، وهذا بلا شك يحتاج إلى مقاومة ومجاهدة بالصبر والرضىٰ، وأن يعلم المؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن هذا المقدَّر عليه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لينظر إلى تعامله معه، فالمؤمن هو الصابر الراضي الشاكر لربه، الذي إذا أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له.

---

(١) الملك، الآية: ٢.

واعلم ـ أخي المسلم الكريم ـ أن الطاعات بأنواعها، والارتباط بالخالق في فعل أوامره وترك نواهيه، وتذكر فضيلة الصبر والشكر، والتأمل في المخلوقات وما يصيبها، واستحضار عظمة الله تعالى وقدره وما أعده للصابرين، كل ذلك معين لك على التحمل والصبر بإذن الله تعالى، لا حرمنا الله وإياك ذلك.

❑ الوقفة الرابعة:

ليعلم الصابرون بأن ثمار صبرهم لا تحدّ بحدود معينة، فأجرهم مضاعف بغير حساب، اسمعوا قوله تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾[2]، وقوله: ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[3]، ومن صبر كان الله معه، ومن كان الله معه فمعه الفلاح والفوز في الدارين: ﴿إن الله مع الصابرين﴾[4]، ويقول سبحانه: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾[5]، والصابرون أئمة بصبرهم، يقول سبحانه: ﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا﴾[6].

---

(١) النحل، الآية: ٩٦.
(٢) القصص، الآية: ٥٤.
(٣) الزمر، الآية: ١٠.
(٤) البقرة، الآية: ١٥٣.
(٥) البقرة، الآية: ١٥٧.
(٦) السجدة، الآية: ٢٤.

وليعلم المسلم الكريم أن هذه الأمور لا تُنال إلا بالمثابرة والجد والاجتهاد والعزيمة والإرادة:

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله　　　لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

هذه أمثلة لثمار الصبر اليانعة في الدنيا والآخرة.

□ الوقفة الخامسة :

إن رمضان المبارك يذكّرك بنعم الله تعالى الجسيمة وآلائه العديدة التي أنعم بها عليك، فلتجاهد نفسك وتصبرها على طاعة الله، ألا ترى المستشفيات وما فيها من المرضى ممن يحتاج إلى من يواسيهم فتحمد الله على السلامة والعافية؟ أوَ لا ترى مَنْ تحت الثرى وقد فقدهم أحباؤهم فتذكر نعمة وجودك بين أهلك وأطفالك؟ أوَ لا ترى أولئك المشرّدين اللاجئين الذين فقدوا أموالهم وأوطانهم فتعرف نعمة الأَمن وتحمد الله سبحانه وتعالى وتشكره؟

واعلم ـ أخي المسلم ـ أن كل مصاب ففي الناس من هو أكبر منه مصيبة فتهون مصيبته أمامه، فخذ من شبابك لهرمك، ومن صحتك لمرضك، ومن غناك لفقرك، ومن حياتك لموتك، جعلني الله وإياكم من الصابرين في البأساء، الشاكرين في السراء، كما نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

اللســـــان

الحمـد لله الـذي فضَّلنـا على كثيـر من خلقـه، أحمـده سبحـانـه وأشكره على جزيل فضله وكريـم رزقه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد صفيه من خلقه وعلى آله وصحبه، أما بعد :

فإن رمضـان شهـر الخير، شهـر النفحـات والبركـات، شهـر العلم والتربية، شهـر زيادة الحسنات وتكفير السيئات، فـرغم أنف عبد أدرك رمضـان ولم يستفـد منه، ورغـم أنف مـن أدرك رمضان فلـم يرفـع من درجاته، ويكفر سيئاته.

وهـذا يتطلـب من المـؤمـن الحق استغـلال جميـع الإمكـانـات والقدرات التـي منحها الله سبحـانه لعباده، ومـن هذه النعم تلـك الآلة الخطيرة التي فضل بها الإنسان علـى غيره من المخلوقات، تلك الأداة المهمة، والآلـة الفاعلـة، والجارحـة العظيمة، قـائد جوارح الإنسـان، جعلهـا الله فارقـاً بين الإنسان والحيـوان، يعبر بـه الإنسان عمـا يريـد، ويستخدمه فـي طلب أغراضه، يتكلم بـه وينادي به، به يقـرأ كلام ربه، وبه يـذكر مـولاه، وبه يـأمر بالمعـروف وينهى عن المنكـر، ويدعـو إلى الخيـر، وينصح إخوانـه المسلمين، ويصلح بينهـم، وبه يعبـر عن آرائه وأفكاره.

ونقـف في الـوقفـات الآتيـة مـع تلك الآلـة الخطيــرة متأمليـن ومتدبرين:

□ **الوقفة الأولى :**

اعتنى القـرآن الكريم والسنة النبـوية المطهـرة بهذا اللسان عنـاية كبـرى، تمثلت في أهميـة استغـلاله فـي الخيـر وسبله، والتحـذيـر من استخدامه في الشر ووسائله.

يقول سبحـانه وتعالى مبيناً أهميـة الكلام الذي ينطق بـه الإنسان: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿سنكتب مـا قالـوا﴾[2]، ويقـول محذراً مـن استخدام هـذه الآلـة فيمـا لا يعلم الإنسان: ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليـس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾[3]، ويقـول جل من قـائل موضحـاً بعض سبل الخيـر الذي ينبغي أن يشغـل به اللسان: ﴿لاخيـر في كثير من نجـواهم إلا من أمـر بصـدقة أو معـروف أو إصـلاح بين النـاس ومن يفعـل ذلك ابتغـاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾[4].

ولـوزن الكلمـة الكبيـر في ديـن الله، وأهميتهـا العظمى، ودلالتهـا الواسعة، يروي أبو هريرة رضي الله عنـه ـ فيما جاء في الصحيحين ـ عن

---

(١) سورة قَ، الآية: ١٨.

(٢) آل عمران، الآية: ١٨١.

(٣) النور، الآية: ١٥.

(٤) النساء، الآية: ١١٤.

النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»[1] أخرجه الترمذي بلفظ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى فيها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً»[2].

تأمل أخي المسلم قول الرسول ﷺ: «ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها» تعرف عظم هذه النعمة، ووجوب المحافظة عليها ومراعاتها، فلا تنطق حينئذ إلا حقاً وإلا فاسكت، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[3].

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن أن معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديثه الطويل جاء إلى النبي ﷺ فقال: دلّني على عمل يدخلني الجنة، قال ﷺ فيما قال له: «...أمسك عليك هذا ــ وأشار إلى لسانه ــ» فأعاد عليه فقال ﷺ: «ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[4] قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٧) في الرقاق، باب حفظ اللسان، ومسلم (٢٩٨٨) في الزهد، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٤) في الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها، وابن ماجه (٣٩٧٠) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة.

(٣) رواه البخاري (٦١٣٥) في الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته، ومسلم ١/ ٦٩ برقم (٤٨) في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف.

(٤) رواه أحمد ٥/ ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧. ورواه الترمذي ٥/ ١٣ برقم (٢٦١٦) في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وابن ماجه ٢/ ١٣١٥ برقم (٣٩٧٣) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة.

□ الوقفة الثانية :

عَرَف السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ عظم هذه الأداة وأهميتها، فرعوها حق رعايتها، واستخدموها فيما ينبغي أن تستخدم فيه، خافوا من آفات اللسان وخشوا أن يوردهم المهالك، كان أبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد) وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بلسانه ويقول: (ويحك! قل خيراً تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم) فقيل له: يا ابن عباس، لم تقول هذا؟ قال: (إنه بلغني أن الإنسان ليس على شيء من جسده أشد حنقاً أو غيظاً يوم القيامة منه على لسانه، إلا من قال خيراً أو أملى به خيراً)، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به).

وقال الحسن البصري رحمه الله: (اللسان أمير البدن فإذا جنى على الأَعضاء شيئاً جنت، وإذا عفّ عفّت).

فلنا في هؤلاء السلف قدوة وأسوة في ضبط اللسان، لنزن الكلمة ميزاناً دقيقاً، فإذا خرجت كانت في موضعها.

□ الوقفة الثالثة :

قد يندم الإنسان عندما يسكت، لكن الندامة تكون أكثر عندما يتكلم بكلام يأسف عليه، كالكلام بالباطل أو اللغو:

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن مكثارا

ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

لذا حذرنا الشارع من الخوض في الباطل بأشكاله وأنواعه، وعلى رأس هذا اللغو: الاستهزاء بالله تعالى، أو بالرسول ﷺ، أو بالدين وتعاليمه، أو رجاله، أو أهل الحسبة والعلم والدعوة، يقول سبحانه مبيناً كفر من يستهزئ بالدين وأهله: ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون. ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾[1].

ومن اللغو والباطل: الاستهزاء بالناس والسخرية بهم بعامة، والكلام في أعراضهم، والسعي بينهم بالغيبة والنميمة، وفحش القول، وخداعهم والكذب عليهم، وسبهم وشتمهم، وحب إشاعة الفاحشة بينهم، والبحث عن عوراتهم، والتندر بذلك، وانتقاصهم الخَلْق والخُلق؛ فإن هذه آفات خطيرة يزل بها اللسان فتورده الموارد، ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال: «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيّروهم ولا تطلبوا عوراتهم، فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته»[2].

(١) التوبة، الآيات: ٦٤ ـ ٦٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٧٩.

ورحم الله القائل:

لسانك لا تذكر به عورة امـرئ ... فكـلك عورات وللنـاس ألسن

وإن عينيك أبدت إليك مساوئاً ... فصنها وقل يا عين للناس أعين

❑ **الوقفة الرابعة :**

إن من دلائل الفلاح والكمـال للمسلم أن يسخِّر هذه الأداة الفاعلة، وأن يوجه كلمته فيما يخدم به مصلحة نفسه وأسرته ومجتمعه، ويخدم دينه، فما تقوم الدعوة إلى الخير، والإصلاح بين الناس، والدلالة والإرشاد إلى الفضيلة، وتوجيه الناس نحو ما ينفعهم، والنصح للمسلمين وتصحيح سلوكهم، بالقول المباشر، أو بالنصح العام عن طريق الكتاب والإذاعة والصحيفة، إلا عن طريق هذه الكلمة المتلفظ بها أو المكتوبة، يقول تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[1]، وكذا لا يتقرب العبد إلى الله بذكر وقراءة، وتسبيح وتحميد، وتكبير وتهليل، إلا عن طريق هذه الكلمة.

يقول سبحانه في وصف عباده المؤمنين: ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون﴾[2] ، ويقول: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي

(١) فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) المؤمنون، الآيات: ١ ـ ٤.

الجاهلين﴾[1].

☐ **الوقفة الخامسة :**

لو قلّبت طرفك في واقع كثير منا؛ لهالك استخدام هذا اللسان في لغو الحديث، ألا يروعك أخي المسلم أن تجد كثيراً من القصص المنشورة، وكثيراً من الكلمات المذاعة والمنشورة، وحديث المجالس من غيبة ونميمة، وسباب وتفرق، وتقعر في الكلام وتشدق به، ومجاملات مكشوفة، وغير ذلك من المحرمات واللغو المنهي عنه؟ ألا يخشى من يكتب كلاماً يضلل به عباد الله في كتاب أو صحيفة أو مجلة؟ ألا يخشى من يعمر مجلسه بخدش عرض فلان أو فلان؟ وناهيك إن كان المخدوش من أهل العلم والخير! ألا يخشى من يكذب ويخادع ويعامل بالزور والبهتان؟ ألا يخشى هؤلاء وأمثالهم أن هذه الكلمة التي تلفظوا بها تهوي بهم في النار سبعين خريفاً؟ وليتأمل هؤلاء وغيرهم قول الباري جل وعلا: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[2] وقوله: ﴿سنكتب ما قالوا﴾[3].

أيها المسلمون الكرام:

إن من الغبن الفاحش أن لا يجعل المرء هذه الأداة عوناً على طاعة الله تعالى، وتحصيل الحسنات، وكسب الأجور، ورفع الدرجات،

---

(١) القصص، الآية: ٥٥.

(٢) قَ، الآية: ١٨.

(٣) آل عمران، الآية: ١٨١.

ورمضــان الكريم ـ وهو شهر المحاسبة والرجوع إلى الله ـ حريٌّ أن يقف فيه المسلم مع هذه الآلة؛ ليتفكر في حـاله، ويحاسب نفسه، فهو شهر القرآن والذكر والدعاء والدعوة والإصلاح.

جعلني الله وإيـاكم ممن تشهد لـه جوارحه يـوم القيامـة، ولاتشهد عليه، كمـا أسألـه سبحانه أن يـرزقنا الإخـلاص في الأقـوال والأعمال، والعفو والعافية والمعـافاة الدائمة في الدين والدنيـا والآخرة، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

□ □ □

العشر الأواخر

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، والجود والإكرام، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، أحمده على إحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، خير من صلى وصام، وقام لله حق القيام، وأبان لأمته الحلال من الحرام، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن نعم الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر المبارك لا تعد ولا تحصى، ولا زالت تتوالى علينا وتترى، دخل رمضان بما فيه من الخيرات العميمة والنفحات الكريمة، وفرح به المؤمنون حقاً، والعارفون به صدقاً؛ لما يعلمون من كرم المولى جل وعلا، وما يضفيه على عباده من الخيرات والأجور، ولا زال أكرم الأكرمين يجود على عباده بالفضل والكرم، حيث خص العشر الأواخر من رمضان بالمزيد من فضله وإنعامه.

وفيما يلي نقف بعض الوقفات مع هذه العشر المباركة :

❑ **الوقفة الأولى :**

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: (كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في

غيـــره)[١]، وجاء في المسند أنها رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم ، فإذا كان العشر شدَّ المئزر)[٢].

وفي الصحيحيـن عنها رضـي الله عنهـا: (كان النبـي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله)[٣].

هذه النصوص الكريمة التي تـوضح السيرةالعطرة لنبينا محمد ﷺ في هـذه الأَيـام ترسم لأُمتـه منهجـاً يترسمـونه، ويحتـذون حـذوه، في حياتهم كلها.

فـرســول الله ﷺ يجتهـد فـي هـذه العشـر، وهـذه كلمـــة بليغـة، فالاجتهـاد: بذل الجهـد والطاقة، فهـو صلوات الله وسـلامه عليـه يبذل جهده وطاقتـه في هذه العشر المبـاركة أكثر من غيره، يجتهـد في أنواع العبادات كلها من صلاة وذكر وقراءة وصدقة وبر وإحسان.

ولكونه ﷺ بـذل وسعه وطاقته؛ ظهرت علامـات هذا البذل، تلكم هي شد مئزره الذي هو كنايـة عن اعتزاله للنساء؛ ليتفرغ لتلك العبادات الجليلة.

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٨٣٢ برقم (١١٧٥) في الاعتكاف، بـاب الاجتهاد في العشر الأواخر، وابن ماجه ١/ ٥٦٢ برقم (١٧٦٧) في الصيام، باب في فضل العشر الأواخر.

(٢) رواه أحمد في المسند ٦/ ٦٨.

(٣) رواه البخاري ٤/ ٢٦٩ برقم (٢٠٢٤) في فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضـان، ومسلم ٢/ ٨٣٢ بـرقم (١١٧٤) فـي الاعتكـاف، باب الاجتهـاد في العشـر الأواخر من رمضان.

ومن منهجه صلوات الله وسلامه عليه في هذه العشر: إحياء ليله، فجعل استيقاظه وعمله الطاعات المختلفة في هذه الليالي المباركة بمنزلة الحياة، ولا شك أن حياة القلوب وطراوتها بالذكر والقراءة والصلاة والإحسان إلى الخلق، وكل ذلك مقرب للخالق سبحانه وتعالى، ثم إن هذا الإحياء معين للمؤمن أن يجعل هذا منهاجاً يسير عليه في حياته كلها، ليحيي جزءاً من ليله في مناجاة خالقه، ودعائه، والاستعانة به، والالتجاء إليه.

ولا شك أن سكون الليل، والابتعاد عن مشاغل الدنيا، والتفرغ من أعباء الحياة، كل هذا مما يهيئ النفس للمناجاة والاستغفار والصلاة، ويجعلها أكثر قرباً من مولاها جل وعلا.

ومن منهاجه صلوات الله وسلامه عليه: أن يوقظ أهله ليشاركوه في هذه الأَعمال الجليلة؛ ليأخذوا حظهم من الأَجر والثواب، وليطمعوا في رضوان الله سبحانه وتعالى، ونيل محبته.

وفي هذا التعاون الجليل ما يحسُّ المسلم معه بمسؤوليته الكبيرة تجاه أهله، فلا يجعلهم غرقى في النوم في هذه الليالي الفاضلات المعدودات، ولا شك أن من الخير أن يتخذ المسلم هذا المنهاج ليقوم بجزء من الأَمانة المحمَّل إياها تجاه أهله وأولاده.

وهذا ـ أعني إيقاظ الأهل والأَولاد وحثهم على القيام والدعاء ـ مُعِينٌ بعد عون الله تعالى لصلاحهم واستقامتهم، بل عساه أن يكون منهاجاً يحتذونه في أيامهم المقبلة، فيبادرون إلى إحياء لياليهم، إذْ أن من ذاق

حلاوة الإيمـان؛ اشتاق للازدياد، ولا أعظم مـن لذة المناَجاة مـع خالق الأَرض والسماوات، المطلع على جميع الأَحوال.

ومع هذا المنهـج النبوي المبارك الذي يـوجه به ﷺ أمته لـلاقتداء به؛ نجـده يحث من جـانب آخر على هـذا التعاون الإيمانـي، روى أبو داود وغيـره عن أبي هـريرة رضي الله عنـه أنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «رحم الله رجـلاً قام من الليل فصلى وأيقـظ امرأته، فإن أبـت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قـامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[1].

فلنـا في رسـول الله ﷺ أسوة، وفـي أعمالـه قدوة؛ لنتـرسم خطـاه، ونحتذي حـذوه، فهو رسول الله ﷺ، الذي غفـر له ما تقدم من ذنبـه وما تأخر، ومع ذلك يجتهد هـذا الاجتهاد العظيم؛ فحريّ بك أخي المسلم ـ وأنت تطرق أبـواب هذه العشـر المباركة ـ أن تعقـد النية وتجدد العزم على تـرسم خطاه صلـوات الله وسلامـه عليه فـي هذه العشـر، وفي كل أيامك، حقق الله لي ولك مما يرضيه رجاءنا.

---

(١) رواه أحمـد ٢/ ٢٥٠، ٤٣٦، وأبـو داود بـرقـم (١٣٠٨) في الصـلاة، بـاب قيـام الليـل، والنسائي ٣/ ٢٠٥ في قيام الليـل، باب الترغيب في قيام الليل، وابـن ماجه (١٣٣٦) في إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن أيقظ أهله بالليل.

❑ الوقفة الثانية :

ومن منهجه صلوات الله وسلامه عليه في هذه العشر المباركة: الاعتكاف، والاعتكاف هو: لزوم المسجد تفرغاً لطاعة الله تعالى، لا يخرج منه إلا لما لابد له منه، كالذهاب للوضوء ونحوه، ومن أحكامه: أنه لا يجوز حال الاعتكاف مباشرة النساء بجماع أو ما دونه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾[1].

ومن آدابه: التفرغ التام لعبادة الله تعالى وطاعته، وتحري ليلة القدر فيه التي هي خير من ألف شهر، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قلت: (كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفّاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده).

ومن مستلزمات هذا الاعتكاف وغايته: أن يتفرغ المعتكف للانشغال بمناجاة خالقه سبحانه وتعالى ودعائه، ومحاسبة نفسه، وقراءة كتاب الله سبحانه وتعالى، والتأمل فيه، والصلاة، والتفكر في أمور دينه، والاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، ويقضي أغلب وقته في هذه الأُمور؛ لعل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله في عباده المتقين، وأن يقبل منه.

ومن بدهي القول: أن لا يشتغل المعتكف بأمور الدنيا، ويجعل معتكفه مأوى للزائرين لتبادل الأحاديث الدنيوية، ولتناول المطعومات

---

(١) البقرة، الآية: ١٨٧.

والمشروبات، وبخاصة في المسجد الحرام، أو يكون اعتكافه فيه إيذاء لإخوانه المسلمين وإزعاجهم، كالنوم في طرقاتهم أو في الصفوف المتقدمة، أو نشر ثيابهم وملابسهم أمام المصلين، وغير ذلك مما يؤثر على هدف الاعتكاف وغايته، فينشغل المعتكف بدنياه عن دينه، ويبتعد القلب عن الله سبحانه، فلنجعل ــ أيها المؤمنون ــ عباداتنا مقربة لمولانا جل وعلا.

أيها المسلمون الكرام :

هذه العشر المباركة أيام قليلة وساعات محدودة، ما أسرع انقضائها، فالمؤمن العاقل من يغتنمها في الطاعة والعبادة قبل فوات الأوان، أسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الأَخيار، وأن يغفر لنا الذنوب والأَوزار، ويعتق رقابنا من النار، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

ليلة القدر خير من ألف شهر

الحمد لله الذي فضل بعض الأوقات على بعض، وحثنا على القيام بالنوافل والفرض، وأمرنا بالاستعداد ليوم العرض، وصلى الله وسلم على نبينا محمد خير من صلى وصام، وقام لله حق القيام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، أما بعد :

فلا زلنا نعيش في هذه الأيام والليالي المباركة التي هي العشر الأخيرة من رمضان، والتي كان يخصها المصطفى ﷺ بشيء من العبادة ليست في غيرها.

أخي المسلم: من فضل الله علينا أن جعل ليلة في هذه العشر خيراً من ألف شهر، نقف مع هذه الليلة المباركة بعض الوقفات:

❑ **الوقفة الأولى :**

حدثت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه، قالت: (كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره)[١].

وفي الصحيحين عنها رضي الله عنها أنها قالت: (كان النبي ﷺ

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٨٣٢ برقم (١١٧٥) في الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر، وابن ماجه ١/ ٥٦٢ برقم (١٧٦٧) في الصيام، باب في فضل العشر الأواخر.

إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله)[1].

شد مئزره: أي اعتزل نساءه ليتفرغ للصلاة والذكر، وأحيا ليله بالقيام والقراءة والذكر بقلبه ولسانه وجوارحه، ويوقظ أهله ليشتغلوا بالصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء والتضرع لرب العالمين، لماذا كل هذا أيها الإخوة المسلمون؟ حرصاً منه ﷺ على اغتنام هذه الليالي المباركة بما هي جديرة به من العبادة فإنها فرصة العمر، وغنيمة لمن وفقه الله عز وجل للخير، وعلى هذا فلا ينبغي للمؤمن العاقل أن يُفَوِّت هذه الفرصة العظيمة،وهذه الليالي الثمينة، على نفسه وأهله، فما هي إلا ساعات قصيرة، وليالٍ معدودة ربما يدرك فيها الإنسان نفحة من نفحات المولى عز وجل فتكون سعادة له في الدنيا والآخرة.

☐ **الوقفة الثانية :**

ويزيد من شرف هذه الليالي، ويرفع من قدرها : أن أنعم الباري جل وعلا على عباده المؤمنين بأن جعل فيها ليلة خيراً من ألف شهر، نعم ألف شهر، ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، نعمة أعْظِمْ بها من نعمة، ومنحة أعظم بها من منحة، وفرصة ربانية لا يوفق لها إلا المخلصون لله أعمالهم، العاملون للصالحات، التائبون لربهم، الخائفون منه سبحانه، الراجون لرحمته ومغفرته.

يقول فيها جل وعلا: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ٢٦٩ (٢٠٢٤) في فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، ومسلم ٢/ ٨٣٢ برقم (١١٧٤) في الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان.

القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر﴾[1].

ويقول سبحانه أيضاً: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم. رب السموات والأَرض وما بينهما إن كنتم موقنين. لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين﴾[2].

فهي ليلة مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها، كيف لا وهذا القرآن العظيم أنزل فيها، وفيها يفصل من اللوح المحفوظ ما هو كائن من أمر الله سبحانه وتعالى في تلك السنة من الأَرزاق والآجال، والخير والشر، وغير ذلك من كل أمر حكيم؟

وهي خير من ألف شهر في الفضل والبركة والشرف وكثرة الثواب والأَجر، وفيها تتنزل الملائكة الذين لا يستكبرون عن عبادة ربهم ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، يتنزلون إلى الأَرض بالخير والبركة والرحمة.

وهي سلام للمؤمنين من كل مخوف؛ لكثرة من يعتق فيها من النار، ويسلم من عذابها.

وفيها تغفر الذنوب، وتُقال العثرات، ويُعفى عن الزلات،

(١) سورة القدر.

(٢) الدخان، الآيات: ٣ ـ ٨.

وتستجاب الدعوات، لمن قام في تلك الليلة مؤمناً بربه، واثقاً من عطاياه، محتسباً للأجر والثواب، مخلصاً النية، مقتدياً بالمصطفى ﷺ، جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[1].

❑ الوقفة الثالثة :

يقول صلوات الله وسلامه عليه في بيان تحديد ليلة القدر: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»[2] متفق عليه. وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع، فقد روى البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[3]، وفي السبع الأواخر منه أقرب؛ لما روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أُروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال النبي ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت - يعني اتفقت - في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»[4]،

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ١١٥ برقم (١٩٠١) في الصوم، باب من صام رمضان، ومسلم ١/ ٥٢٤ برقم (٧٦٠) في صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان.

(٢) رواه البخاري مع الفتح ٤/ ٢٥٩ برقم (٢٠٢٠) في ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، ومسلم ٢/ ٨٢٨ في كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر.

(٣) رواه البخاري ٤/ ٢٥٩ رقم (٢٠١٧) في ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر.

(٤) رواه البخاري ٤/ ٢٥٦ برقم (٢٠١٥) في ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، ومسلم ٢/ ٨٢٢ في كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر.

وأقرب أوتار السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين، فعن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: (والله إني لأعلم أي ليلة هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين)[1] رواه مسلم.

واعلموا ـ أيها المسلمون ـ أن ليلة القدر لا تختص بليلة معينة في جميع الأعوام بل تنتقل من عام لآخر، وقد أخفى الله سبحانه وتعالى علمها على العباد رحمة بهم؛ ليكثروا عملهم في طلبها في تلك الليالي الفاضلة كلها بما يقربهم إليه سبحانه من الصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن، والصدقة والبر وإعانة المحتاج، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

❑ **الوقفة الرابعة :**

أخي المسلم :

إن هذه الليلة فرصة قد لا تمر على الإنسان مرة أخرى، فاجتهد غاية جهدك فيها وقدم ما تستطيع تقديمه.

أيها الأب والأم :

لا تنسوا أنفسكم وأولادكم في هذه الليالي المباركة، واقتدوا بنبيكم الذي كان يحيي ليله ويوقظ أهله، وكفى التفريط فيما مرّ من سالف العمر.

---

(١) رواه مسلم ٢/ ٨٢٨ برقم (٧٦٢٠) في الصيام، باب فضل ليلة القدر.

أيها التاجر:

لعلك في هذه الليلة المباركة تقف وقفة حساب مع نفسك، لتراجع أموالك، وتدقق حساباتك، ولتنيب إلى ربك الكريم المنان.

أيها الموظف :

اغتنم هذه الليلة الشريفة العظيمة لتصحح ما وقعت فيه من زلات وأخطاء، وتعالج ما وقعت فيه من تقصير.

أيتها المرأة المسلمة :

هلا راجعت حساباتك مع ربك جل وعلا فيما أوجب الله عليك، وجعلتِ هذه الليالي المباركة خطوة تتقدمين بها إلى الأمام؟

إذا علمت ـ أخي المسلم ـ فضائل هذه الليلة العظيمة وعلمت أنها محصورة في العشر الأواخر من رمضان؛ فعليك بالجد والاجتهاد في كل ليلة منها بالصلاة والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، لعلك أن توافقها فتسعد سعادة لا تشقى بعدها أبداً، وعليك أن تدعو فيها بالأدعية الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، ومنها:

١ ـ اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر، اللهم أعتق رقبتي من النار، وأوسع لي من الرزق الحلال، واصرف عني فسقة الجن والإنس يا حي يا قيوم.

٢ ـ اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

٣ ـ اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني.

٤ ـ اللهم أحسن عاقبتنا في الأُمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وغيرها من الأدعية المأثورة.

هذا وأسأل الله جل وعلا أن لا يحرمنا أجر هذه الليلة المباركة، وأن يجعلنا من السابقين إلى الخيرات، المخلصين النيات، التاركين للمنكرات، والمقدمين الأعمال الصالحات، الآمنين في الغرفات مع الذين أنعم الله عليهم ووقاهم السيئات، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



محبـة الله

الحمـد لله رب العـالمين، والعـاقبة للمتقيـن، ولا عـدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأصلي وأسلم على نبينـا محمـد خير خلقـه، وصفـوته مـن رسله وأنبيـائه، وعلى آلـه وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

أيها المسلمون :

لا زلنا ـ بفضل من الله تعـالى ـ نعيش في المدرسة الـرمضانية التي تذكرنـا بالفضائل العميمة، وتربطنا بخـالقنا سبحانه، فرمضـان مدرسة الموفقين من عبـاد الله الذين يقدرون لهذا الشهر قـدره، ويستفيدون منه حق فائدته.

ونحن في أيـامه الأخيـرة الفاضلة يـزداد المؤمن قـرباً من ربـه جل وعلا، وصلة به، وتفكراً في مراده سبحانه.

فترى الموفقين يتسابقون إلى كل عمـل يرضي الله سبحانه وتعالى، ويزيد في محبته جل وعلا.

❏ أيها المسلمون :

إن من أَجَلِّ الغايات التي ينشدهـا المسلم في حياته: محبة الله له،

فنعيش في هذه الوقفات مع تلـك المحبة العظيمة، لعل الله سبحانه أن يرزقنا حبه، وحب من يحبه، والعمل الذي يقربنا إلى حبه.

❑ **الوقفة الأولى :**

خلق الله تعـالـى الإنسـان وخلق فيـه أنـواعـاً مـن المحبـوبـات، فالجائع لا يعـدل بمحبة الطعام شيئاً، والمريض لا يقـدم على الصحة محبوبـاً آخر، والـوالد مغـرم بحب أبنـائه وبناتـه، فتتفاوت محبـوبات النـاس بين فئـة وأخرى؛ فمن محـب للمال، ومـن محب للجـاه، ومن محب للسفر والتجوال، وآخر يحب التقرب لـلأصدقاء والخلان.. أنواع من المحبة كثيـرة، جعلها الله في قلب الإنسان لتكون قـائداً له لأعمال يقوم بهـا وينفذهـا، في بعضها خيـر كثير وثمـار عظيمة، وبعضهـا يقود صاحبها إلى الهاوية والهلاك.

ورأس هذه الأنـواع وأعلاها: محبـة العبد لربـه سبحانه، مـن وجد طعمها وذاق حلاوتها؛ نال السعادة في الدنيا وبعد مماته في الآخرة.

ومحبـة الله تعالى تعنـي طاعتـه وعبـادته، واتبـاع أوامره واجتنـاب نواهيه، طاعته في رغبة صادقة، واجتناب معصيته في رهبة وخوف.

كما تقتضي محبة كل شيء يحبه الله تعـالى، وبغض كل ما يبغضه جل وعلا.

وتقتضي أيضـاً محبة رسـوله ﷺ وتقـديمهـا على كل محبـة حتى محبة الوالد والولد، والناس أجمعين.

ومحبة الله تعني أيضـاً اتباع شريعتـه واقتفاء هدي نبيـه محمد ﷺ وتقديم ذلك على رغبات النفس وشهواتها.

ومحبـة الله تعـالى تعنـي محبـة المـؤمنين ونصـرتهـم ومـؤازرتهم وتقـديم العـون لهم، والشعـور بقضايـاهـم، والفرح لفـرحهم، والحـزن لأحزانهـم، والنصح والتوجيه لهم، وحب الخير لعامتهم.

ومحبة الله تعـالى تقتضي قيـام العلاقـات الاجتماعيـة، والصلات والروابط، على أساس المحبة في الله والبغض في الله.

يقول سبحانـه واصفاً عباده المؤمنين بأنهم أهـل محبته: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾[1]، ويقول الرسول ﷺ فيمـا رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه: «لا يـؤمن أحدكم حتى أكـون أحب إليه من والـده وولده والناس أجمعين»[2].

❑ **الوقفة الثانية :**

لمحبـة الله آثار عظيمـة في الدنيـا والآخـرة، فمن أحب الله تعـالى حقيقة، قولاً وفعـلاً؛ ذاق طعم الإيمان، ووجد حلاوتـه في قلبه، فيعيش موصـول القلب بالله جل وعـلا، مطمئن البال والخاطـر، روى البخاري ومسلم رحمهمـا الله عـن أنس رضـي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال:

---

(١) البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) رواه البخـاري مع الفتـح ١/ ٥٨ بـرقم (١٥) فـي الإيمان، بـاب حـب الـرسـول ﷺ من الإيمان، ومسلم ١/ ٦٧ برقم (٤٤) في الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ.

«ثلاث من كُن فيه وجد حلاوة الإيمـان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1].

ومن أحب الله تعالى أحبه الله تعالـى، ومن أحب الله تعالى؛ كانت حركاته وسكناته، وأقواله وأعمـاله، حسنات مضاعفة عند الله سبحانه، يقول جـل وعلا: ﴿فسوف يأتـي الله بقوم يحبهم ويحبـونه﴾[2]، وروى الشيخـان عن أبي هـريرة رضي الله عنـه أن رسول الله ﷺ قـال: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنتـه بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الـذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجلـه التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنه»[3].

فهل نطمع معشر الصائمين أن نكون كذلك؟

❑ **الوقفة الثالثة :**

عباد الله المؤمنين الذين يحبهم ويحبـونه لهم سمات يتميزون بها،

---

(١) رواه البخاري ١/ ٦٠ بـرقم (١٦) في الإيمان، بـاب حلاوة الإيمان، ومسلم ١/ ٦٦ بـرقم (٤٣) في الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٢) المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) رواه البخاري ١١/ ٣٤٠ بـرقم (٦٥٠٢) في الـرقاق، باب التـواضع، وابن حبان كمـا في الإحسان ٢/ ٥٨ برقم (٣٤٧) في البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها.

وعلامـات يُعرفـون بها، ودلائل تظهـر على سلـوكهم وجوارحهـم، فمن سلك مسلكهم واقتدى بهم؛ حـاز الذي حازوا، ونال الذي نـالوا، يقول سبحـانه مبينـاً بعض هـذه الصفـات: ﴿فسوف يـأتي الله بقـوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[1].

عـلاقتهم مع النـاس: سلم ورحمـة للمـؤمنين، أشـداء بعـزة على الكافـرين، حريصون على إعـلاء كلمة الله، هدفهم إرضاء الله سبحـانه وتعالـى في كل أعمالهـم وأقوالهم، يجاهـدون في سبيل الله، ينـاصرون الحق ويقفـون معه رضي النـاس أم سخطوا، لا يمنعهم من قـول الحق والعمل بـه مجاملة مكشـوفة، ومراءاة مـذمومة، ومـن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنـه وأرضى عنه الناس، ومن أسخط الله بـرضى الناس سخط الله عليه وأسخط الناس عليه.

ومن صفـاتهـم: ملازمـة التوبـة والاستغفار، خـائفين من ذنـوبهم، شاكـرين لنعم الله تعـالى، حامديـن له مثنين عليـه الخير كله، قلـوبهم طاهرة وأبـدانهم نظيفة، يقول سبحانه وتعـالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[2]، وروى مسلم رحمه الله عن أنس رضي الله عنه

---

(١) المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) البقرة، الآية: ٢٢٢.

أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»[1].

ومن سماتهم: تخلقهم بالأخلاق الفاضلة، والصفات الحسنة، يتسابقون في الخير، ويتنافسون في نفع الناس، ميدانهم أعمال البر والإحسان، ومن صفاتهم: الصبر والثبات، والمثابرة والجهاد، والتوكل والإنابة، والإنصاف والعدل، والإحسان والتقوى، يقول سبحانه: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص﴾[2]، ويقول: ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾[3]، ويقول: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾[4]، ويقول: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾[5]، ويقول: ﴿بلى من أوفى بعده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾[6].

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه الشيخان: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»[7]، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «إن أحبكم إليَّ

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٢٠٩٥ برقم (٢٧٣٤) في الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب.

(٢) الصف، الآية: ٤.

(٣) الحجرات، الآية: ٩.

(٤) آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٥) آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٦) آل عمران، الآية: ٧٦.

(٧) رواه البخاري ١٠/ ٤٤٩ برقم (٦٠٢٤) في الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ومسلم ٤/ ١٧٠٦ برقم ١٢٦٥ في السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

وأقربكم مني مجلساً يـوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً، المـوطؤون أكنافاً، الذيـن يألفون ويـؤلفون، وإن أبعدكـم مني مجلساً وأبغضكم إلـيَّ يوم القيامة الثرثارون المتفيقهون»[1].

أيها المسلمون الكرام:

هذه صفات المحبين لله تعالى الذين يـريدون ثمرة هذا الحب دنيا وأخرى، وغنـي عن القول أن من أخلَّ بهـا أو بعضها تعـرض لشيء من غضب الله تعـالى، وما أولئك المجـاهرون بعصيانهـم، الذين يقـدِّمون المعصيـة على الطـاعة، ويعبثـون بنعـم الله ولا يشكرونهـا؟ ومـا أولئك المعرضون عن إخـوانهم المؤمنين، وربما أحبوا الشـر لهم، ولم يشعروا بواجبهـم تجاههم؟ ومـا أولئك المضيعون لمسـؤولياتهم تجـاه أنفسهم وأهليهم؟ هؤلاء وأمثالهم عرضـوا أنفسهم لغضب الله وسخطه، برأنا الله وإياكم من ذلك.

ورمضـان ــ معشر المسلميـن ـ يذكـرنا بـالخلال الحميـدة، وعلى رأسهـا محبة الله تعـالـى، فلنجتهد فـي تحصيل هـذه المحبـة بتحقيق أسبابهـا، وبخاصـة أننا فـي أواخر الشهـر الذي هـو مجال للمحـاسبة والتأمل وإعادة النظر في أمورنا كلها.

(١) رواه الترمذي ٤/ ٣٢٥ برقم (٢٠١٨) في البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا حبه وحب من يحبه، وكل عمل يقربنا إلى حبه، وأن يجعلنا من المتحابين فيه المتآخين فيه، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

دروس من فتح مكة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أحمده سبحانه وأشكره على ما أولانا به من الفضل والإنعام، وأصلي وأسلم على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، أفضل من صلى وصام وقام لله حق القيام، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن شهر رمضان المبارك فرصة عظيمة ومنحة جليلة من رب رحيم، رؤوف كريم، يُسبغ فيها على عباده المؤمنين النعم والآلاء، ومما ينفع المسلم أيضاً في هذا الشهر: وقوفه لأَخذ العظة والعبرة من أحداث الماضي؛ ليستفيد منها في حاضره ومستقبله، ويستنير بها وهو سائر في دربه في هذه الحياة المليئة بالأشواك والعقبات، وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومما يذكرنا به هذا الشهر المبارك: فتح مكة المكرمة البلد الأمين، التي جعلها الله سبحانه مأوى الأفئدة المؤمنة، والقلوب الطاهرة، فتح مكة الذي وقع في السنة الثامنة للهجرة، كانت غاصة بالأوثان والأصنام فطهّرها الله بهذا الفتح العظيم، وأحلَّ فيها التوحيد محل

الشرك، والإيمان محل الكفر، والرزق محل الفقر.

فتح مكة جرت فيه أحداث واستنبطت منه عبر وعظات، نقف مع تلك الأحداث والعظات بعض الوقفات:

□ **الوقفة الأولى :**

مما وقع في قصة الفتح: أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أعلن أن من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل بيته وأغلق بابه فهو آمن، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى أتى المسجد الحرام فطاف به على راحلته، وكان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم، فجعل رسول الله ﷺ يطعنها بقوس معه ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[1]، ﴿جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾[2]، والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم دخل صلى الله عليه وسلم الكعبة فرأى فيها صوراً فأمر بها فمحيت، ثم صلى فيها، فلما فرغ دار فيها وكبّر في نواحيها، ووحّد الله عز وجل، ثم وقف على باب الكعبة، وقريش تحته ينتظرون ماذا يفعل، وهو ممسك بعضادتي الباب، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٢) سبأ، الآية: ٤٩.

الناس من آدم، وآدم من تراب ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفواإن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[1] يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لاتثريب عليكم اليوم يغفرالله لكم﴾[2] اذهبوا فأنتم الطلقاء»[3].

هذا جزء مما جرى في قصة الفتح العظيم، فيه من الأحداث ما يدعو للوقوف والتأمل والنظر والاعتبار، فهل يخصص كل مسلم شيئاً من وقته لقراءة مثل هذه السيرة العطرة لتكون له مناراً وهادياً ودليلاً إلى كل خير؟

☐ **الوقفة الثانية :**

هذا الحدث العظيم يتجلّى فيه تعظيم رسول الله ﷺ لبيت الله الحرام، حيث أعلن أن من دخله كان آمناً، فبيت الله الحرام أمان من كل شيء، وهو كذلك بإذن الله تعالى إلى أن تقوم الساعة.

كما أعلن صلوات الله وسلامه عليه إحلال التوحيد محل الشرك

---

(١) الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) يوسف، الآية: ٩٢.

(٣) رواه الترمذي بعضه ٥/ ٣٦٣ برقم (٣٢٧٠) في تفسير القرآن، باب (٤٩)، وأبو داود ٢/ ٧٥٢ برقم (٥١١٦) في الأدب، باب في التفاخر بالأنساب.

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».

وهذا هو المسلم محققاً في جميع شؤون حياته كلها هذا الإعلان من هذا النبي الكريم ﷺ، محققاً توحيد الله سبحانه وتعالى في اعتقاده وعبادته، في سلوكه ومعاملته، في حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وهذا التوحيد هو الحق الذي يجب أن يعلو وأن يظهر في بيت الله الحرام وفي جميع أرجاء المعمورة.

إن سيرة رسول الله ﷺ تذكرنا في هذا الشهر المبارك بأن من أخلّ بهذا التوحيد، أو أخلّ بأمن وأمان هذا الحرم المبارك، أو عبث فيه أو آذى إخوانه المسلمين، أو أفسد شيئاً مما يحتويه، أو عصى الله فيه بأي نوع من العصيان، فقد أخلّ بتوحيد الله سبحانه وتعالى، وخالف رسوله ﷺ، وتعرض لعقوبة الله جل وعلا، فيجب أن يبقى بيت الله ـ كما أعلن رسول الله ﷺ ـ أماناً للقائمين والعاكفين والركع السجود، كما يجب أن يتمثل كل مسلم هذا الأمان فيحترم هذا البيت العتيق، تعلوه هيبة وإجلال، وتقدير واحترام.

❑ **الوقفة الثالثة :**

من المبادئ التي تم إعلانها في هذا الفتح العظيم: نفي الجنسيات والقوميات والعصبيات والعرقيات، فأصل الناس واحد،

لاتفاضل بينهم على أساس اللون أو الجنس أو القبيلة ونحوها «يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب»[1].

فالأصل واحد، تفرع عنه شعوب وقبائل وأجناس وألوان، خلقهم الله كذلك ليتعارفوا، فلا تفاضل بينهم إلا على أساس: التقوى (فلا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى، كلكم لآدم، وآدم من تراب).

فبقدر القرب من الله سبحانه وتعالى وطاعته وتوحيده وتقواه يحصل الفضل والمزية والعلو والرفعة.

فهل سخرت جهودك ـ أخي المسلم ـ وأعمالك وحركاتك وسكناتك للوصول إلى هذه التقوى؟ إن لم تكن كذلك فراجع نفسك، فرمضان فرصة عظيمة للوقوف والمراجعة، ها هو فتح مكة يذكرك بهذا الأَصل العظيم، فاجتهد في ذلك، وفقنا الله وإياك وجعلنا من المتقين.

❑ **الوقفة الرابعة :**

وهي صورة عظيمة رسمها لنا رسول الله ﷺ في موقف عملي نبيل، لا يستطيعه إلا العظماء من البشر، خطه لنا صلوات الله وسلامه عليه

---

(١) تقدم تخريجه آنفاً.

لنقتدي بـه ونتأسى بخطواته،وهـو من شيم الأَفذاذ والنبـلاء، وأصحاب القلوب الكبيرة المرتبطة بخالق الأَرض والسموات.

أعلن ﷺ عفـوه وصفحـه وتسـامحـه عـن بني قـومـه الـذيـن آذوه وطردوه، وشردوه ، ومكروا به، وخذلـوه ، واستهزؤوا به، جاء إليهم فاتحاً في موقف المعتـز المنتصر، في موقف من بيده الأمر والجـزاء لما عملوه معه ولـو بقطع رقابهم، في هـذا الموقف يسائلهـم: «يا معشر قـريش ما تظنـون أني فاعـل بكم؟» لا شك أنـه يتبادر إلى الـذهن أن الجـزاء من جنس العمل، وهـم يعلمون ماذا عملوا به من الإِيذاء والمكر والخديعة، فيتـوسّلـون إليه بقـولهم: (أخ كـريـم وابن أخ كـريم) فمـاذا ينتظـر من الكريم؟ أينتظـر منه الانتقام وأن يسيل الدمـاء؟ أم النهب والسلب؟ أم الشتم والسباب؟ أم هتك الأعراض وتشريد الأطفال وترميل النسـاء؟

بل هو ﷺ كما ذكروا: (أخ كريم وابن أخ كريم).

عرفـوه كذلك رغم ما عملـوا معه، عرفـوه رؤوفاً رحيماً، عرفـوه أميناً عظيماً، كريماً خلوقاً.

يجيبهم بكـل اطمئنان: «أقـول لكم كما قـال يـوسف لإِخوتـه: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

أما فـي عالـم اليـوم: فتقف الشحنـاء والبغضاء، وعلى مستـويات متنوعـة: بين الأَفراد بعضهم مع بعض، والأُسر فيما بينها، والمجتمعات

المسلمة، لتؤثر على قلوب المسلمين فتكدر صفوها ، فهل لنا أن نتأسى بهذا الخلق الكريم من رسول الله ﷺ فنصفي قلوبنا من أحقادها وأضغانها، وأن نعلن الصفح والعفو عن كل من أساء إلينا، ونحل المودة والمحبة بدل البغضاء والعداوة؟ هل نتذكر قوله تعالى سبحانه: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[1]؟ وهل نستجيب لتوجيه رسولنا عليه الصلاة والسلام: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[2].

☐ أيها المسلمون الكرام :

ونحن نتذكر هذه الصور العظيمة والتعاليم السامية فإنما نتذكرها لا للتمجيد والذكرى فحسب، بل لننقلها إلى واقعنا العملي، فنصفي القلوب من شوائبها، ونزرع المحبة والمودة والصفاء والثناء، وبخاصة

---

(١) الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) رواه البخاري شطره الأول ٩/ ١٩٨ برقم (٥١٤٣) في كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه، ورواه مسلم بكامله ٤/ ١٩٨٦ برقم (٢٥٦٤) في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

أننا في هذه الأيام والليالي المباركة الداعية لمثل هذه الفضائل، أسأل الله تعالى أن يطهر قلوبنا من الشحناء والبغضاء، وأعمالنا من النفاق والرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وأن يرزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

البيت المسلم

الحمد لله معز من أطاعه، ومذل من عصاه، أسبغ علينا نعمه المتوالية، وآلاءه المتتالية، أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه وآواه، ومن اعتمد عليه أطعمه وسقاه وكساه، لا إله غيره ولا رب سواه، وأصلي وأسلم على من أكرمه الله بالرسالة واصطفاه، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنعم كثيرة، وآلاء جسيمة، لا يستطيع أن يعدها العادُّون، ولا تحصيها دفاتر الحسّابين.

وإن من أعظم نعمه سبحانه: النعم أن جعل للناس بيوتاً، فيها يسكنون ويستريحون، ومن البرد يستدفئون، ومن الحر يستظلون، وعن الأنظار يستترون، وعن الأعداء يتحصنون، ولأموالهم وأعراضهم يحفظون، ولها يأوون.

هذه البيوت لها شؤون كثيرة، وأحوال مختلفة، وأسرار مكنونة، اعتنى بها هذا الدين بناية وعمارة، وتربية وتنشئة، نقف مع بعض هذه الشؤون الوقفات الآتية :

❑ الوقفة الأولى :

البيت ـ أيها الأخوة والأخوات ـ مجتمع مصغر تلتقي فيه النفوس على المودة و الرحمة، والحصانة والطهر، وكريم العيش والستر، في كنفه تنشأ الطفولة ويترعرع الأحداث، وتمتد وشائج القربى، وتقوى أواصر التكافل والتواصل، ترتبط النفوس بالنفوس، وتتعانق القلوب والأرواح.

في ظل هذه الروابط المتماسكة، والبيوتات العامرة، تنمو الخصال الكريمة، وينشأ الرجال الذين يقودون الأمة، ويُربىٰ النساء اللاتي يُؤْتَمنَّ على أعرق الأصول.

في البيت تنمو الزهور المتفتحة، في جو مليء بالمودة والرحمة، عامر بالتفاهم والتعاون، تعيش في ظلال الأبوة وحنان الأمومة.

في البيت تنشأ ناشئة صالحة، يكون من ثمراتها صلاح الأبناء، وبر الأمهات والآباء، البيت مدرسة تنمو فيها الأجيال، ويتخرج العلماء والقادة والأَبطال، والبيت نعمة كبرى لا يدرك قيمتها، ولا يعرف فضلها إلا من يفقدها، أو يرى من يعيش في الملاجئ والشوارع، أو على أرصفة الطرقات، أو المخيمات المؤقتة ـ كما في بلدان كثيرة ـ يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، عرضة للحر والقر، تلفحهم حرارة الشمس ولهيبها، وتؤذيهم شدة البرودة وقساوتها، إن من يرى هؤلاء وأمثالهم أو يسمع عنهم يدرك عظيم نعمة الله في البيت، فيلجأ إلى الله بالثناء

والشكر والحمد، قولاً وعملاً، باطناً وظاهراً، وتمتد يداه ليشارك فيما ينفع إخوانه المسلمين، وبالشكر تدوم النعم.

❑ **الوقفة الثانية :**

هذا البيت الذي يمثل المجتمع المصغر له في الإسلام منزلة عظمى، وأهمية كبرى، اهتم به الإسلام، وجعل له أحكاماً تخصه، ينبغي للمسلم أن يطبقها ويتعامل في ضوئها، حث الإسلام على القيام بشؤونه وإصلاحه، ورعايته والعناية به، فبصلاحه يصلح المجتمع، وبفساده يتعرض المجتمع لخسائر فادحة، جعله الإسلام مصدر الصلاح والإصلاح.

كيف لا والله سبحانه جعل رب البيت مسؤولاً عن نفسه وأهله بأن يقيهم النار ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾[1]، وبيَّن الرسول ﷺ عِظَم هذه المسؤولية على راعي البيت وحاميه، روى النسائي وابن حبان بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى سائل كل راعٍ عما استرعاه: أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»[2]، فوقفة تأمل من كل مسؤول عن بيته ليرعى هذه المسؤولية ويقوم بها لأَجل أن لا يتعرض هذا البيت لما

---

(١) التحريم، الآية: ٦.

(٢) رواه النسائي في الكبرى ٥/ ٣٧٤ برقم (٩١٧٤) في عشرة النساء، باب مسؤولية كل راع عما استرعي، وابن حبان كما في الإحسان ١٠/ ٣٤٥ برقم (٤٤٩٣) كتاب السير، باب الخلافة والإمارة.

يسقطه أو يفسده.

❑ **الوقفة الثالثة :**

البيت المسلم متميز عن غيره من البيوت شكلاً ومضموناً، ظاهراً وباطناً، مواصفاته خاصة، وآدابه سامية، فمن أهم تلك المواصفات: ستره وصيانته عن الأَنظار، يأمن من يسكنه من الاطلاع على عوراته وأسراره، لا يدخله غير أصحابه إلا باستئذان: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون. فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾[1].

ومن مواصفاته: أن يلحظ في تصميمه انفصال أمكنة الرجال عن النساء؛ ليتحقق الستر والراحة لكلا الطرفين.

ومن مواصفاته في خدماته: أن لا تكون المراحيض باتجاه القبلة؛ لما جاء في الصحيح: «إذا جلس أحدكم لحاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها»[2].

ومن المهم: النظر إلى موقع هذا البيت فيكون قريباً من المسجد قدر الإمكان؛ لئلا يتكاسل عن الصلاة جماعة، ولأَجل أن يتربّى أولاده على المداومة على المسجد.

(١) سورة النور، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٢) رواه مسلم ١/ ٢٢٤ برقم (٢٦٥) في الطهارة، باب الاستطابة.

وأمر آخر: أن ينظر من يختار بيته إلى الجار الحسن، فقد تعوذ رسول الله ﷺ في دعائه من جار السوء فقال ـ فيما رواه الحاكم وصححه ـ: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في المقامة فإن جار البادية يتحول»[1].

❑ **الوقفة الرابعة:**

وكما يحسن شكل البيت ومظهره بأن يكون ذا طابع معين خاص، فينبغي للمسلم أن يكون بيته مثلاً رائعاً في الصلاح والإصلاح، مثلاً للخير، والسعادة والفلاح، ولهذا عوامل كثيرة تجعله كذلك، في مقدمة هذه العوامل: قيام العلاقة بين الزوج وزوجته على المودة والرحمة فيتحقق بينهما قول الله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[2] فقال سبحانه: ﴿لتسكنوا إليها﴾ ولم يقل: ﴿لتسكنوا معها﴾ مما يؤكد معنى الاستقرار في السلوك، والهدوء في الشعور، ويحقق الراحة والطمأنينة بأسمى معانيها، فكل من الزوجين يجد في سكنه الهدوء عند القلق، والبشاشة عند الضيق، والسرور عند الحزن، والفرج عند الهم، فإذا كان الحال كذلك؛ أصبح البيت مدرسة للنشء

---

(١) رواه النسائي ٨/ ٢٧٤ في الاستعاذة، باب الاستعاذة من جار السوء، وابن حبان كما في الإحسان ٣/ ٣٠٧ برقم (١٠٣٣) في الرقاق، باب ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله عز وجل، والحاكم ١/ ٥٣٢.

(٢) الروم، الآية: ٢١.

يتربى فيها البنين والبنات على خصال الخير وكريم الفعال، التي لا تكون إلا في ظلال أمومة حانية وأبوة كادحة، ومن هنا أمر الإسلام بحسن اختيار الزوج لزوجته، وجعل الميزان في ذلك الدين والخلق.

ومن عوامل صلاح البيت وسلامته: أن يكون بيت إيمان وقرآن، بيت ذكر ودعاء، بيت صلاة وصيام، روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»[1]، وروى مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله تعالى حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء هاهنا، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر اسم الله عند مطعمه قال: أدركتم المبيت والعشاء»[2]، وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»[3]، وروى مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالصلاة في بيوتكم

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٧) في الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم (٧٧٩) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

(٢) رواه مسلم (٢٠١٨) في الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، وأبو داود (٣٧٦٥) في الأطعمة، باب التسمية على الطعام، وابن ماجه (٣٨٨٧) في الدعاء، باب ما يدعو به إذا دخل بيته.

(٣) رواه مسلم ١/ ٥٣٩ برقم (٧٨٠) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، والترمذي ٥/ ١٤٥ برقم (٨٧٧) في فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة.

فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»[1].

ومن عوامل صلاح البيت وسلامته: أن يكون مدرسة يتربى فيه الناشئة على العلم النافع والخلق الفاضل، يتعلم الصغير من الكبير، والأبناء والبنات من الآباء والأمهات، يتعلمون العلم والعمل، قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله وقرابته ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه، وقال الطبري: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب.

ومما يساعد في التعليم: توفير مكتبة مناسبة في البيت تحوي الكتب النافعة، والتي فيها ما يناسب الصغير والكبير، والرجال والنساء، ابتداءً بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرته المباركة.

وعلى رأس عوامل إصلاح البيت: كونه مصدر تربية وتنشئة على الإيمان والتقوى والخلق الكريم، وأهم ما يلمح إليه في ذلك: أن يكون الوالدان قدوة حسنة لمن في البيت من الذرية، قدوة في العبادة والأخلاق، قدوة في الأقوال والأعمال، قدوة في السلوك والتصرفات، قدوة في المظهر والمخبر، فمن سمات الطفولة: التقليد والمتابعة، فالبيت المسلم ينبغي ألا يرى فيه الطفل إلا عملاً طيباً ولا يسمع إلا قولاً حسناً.

---

(١) رواه مسلم ١/ ٥٣٩ برقم (٧٨١) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

❑ الوقفة الخامسة :

مما يمتاز به البيت المسلم: أن أسراره محفوظة، وخلافاته محدودة، وخصوصياته مستورة، لا يجوز البوح بها وإظهارها، حتى يحافظ على كيانه وعدم زعزعته، وفي صحيح مسلم رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[1].

❑ الوقفة السادسة :

للبيت المسلم أعداء متنوعون حريصون على زعزعته وخدشه وعدم استقراره وفك روابطه، فما وجدت ثغرة ضعيفة إلا وأسرع هؤلاء الأعداء للنفوذ إلى هذا البيت، ومن هذه الثغرات: خلو البيت من ذكر الله عز وجل ومن الصلاة، وملؤه بالملهيات والصور والكلاب أو وجود الكفار والكافرات، وجعله مرتعاً للشياطين، أو إظهار الخلافات العائلية، أو عدم استقرار والعيش فيه، كل هذه وأمثالها منافذ لأعداء البيت المسلم.

فاحرص ـ أخي المسلم ـ على سدها وعدم فتح الفرص للنفوذ من خلالها، ورحم الله القائل: (وإن الشيطان حين يفلح في فك روابط البيت والأسرة فهو لا يهدم بيتاً، ولا يحدث شراً محدوداً، وإنما يوقع الأمة جميعاً في أذىً مستمر وشر مستطير، فرحم الله رجلاً محمود السيرة، طيب السريرة، سهلاً رفيقاً، رحيماً بأهله، حازماً في أمره، لا

---

(١) رواه مسلم ٢/ ١٠٦٠ برقم (١٤٣٧) في النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة.

يكلف شططاً، ولا يهمل في مسؤولية، ورحم الله امرأة لا تطلب غلطاً ولا تكثر لغطاً، صالحة قانتة حافظة للغيب بما حفظ الله، فاتقوا الله يا أرباب البيوت، واجعلوا من بيوتكم مصادر إضاءة ونور وهداية، ولا تجعلوها أوكاراً للشيطان، ومأوى لأعداء الرحمن، فالله سائلكم عما استرعاكم).

أيها المسلمون الكرام :

إن رمضان بنفحاته الطيبة يبعث في البيوت كل ما يؤدي إلى تماسكها وعدم زعزعتها ، فاجعلوا رمضان منطلقاً لإصلاح البيوت واستقامة أهلها.

أسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح لنا أسرنا، وأن يعافينا ويعفو عن أخطائنا وزلاتنا، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



المرأة المسلمة ورمضان

الحمد لله الـذي خلق من الماء بشـراً فجعله نسباً وصهـراً، وجعل البيوت لهم سكناً ومقراً، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه التي تتوالىٰ وتتـرا، وأصلي وأسلم على نبينـا محمـد أعلى النـاس منزلـة وأعظمهم قدراً، وعلى آله وأصحـابه والتابعين لهم بإحسان إلـى يوم يبعث من في الثرى، أما بعد :

فإن حِكَم الله سبحـانه وتعـالى في خلقـه وعباده لا يحيط بهـا بشر ممن خلق، فخلق الله الخلق، وأوزع عليهم نعمـه، وكلفهم بما يطيقون، وقسم أحـوالهم، وخص كل جنس بمـا يخصه، فللـرجل خصوصيـاته وتكليفاتـه، وللمرأة كـذلك، ورمضـان قد اختصـه الله سبحانـه من بين سائر الشهـور بخصائص ومزايـا يرتفع بهـا قدر أولي الألبـاب والعقول، وأهل الخيـر والجـود، وللمـرأة في هـذا الشهـر الكـريم خصـوصيـات وأحـوال، فـالمـؤمنة العـاقلـة القـانتـة الـواعيـة يـزيدهـا هـذا الشهـر بخصوصيـاته إيمانـاً وينفعها في دينها، والأخـرى تلك السلبية التـائهة فلا يـزيدها تغيـر الحياة في رمضان إلا بعـداً عن خالقها، هـذه الأحوال والخصوصيات نقف معها الوقفات الآتية:

□ **الوقفة الأولى :**

خلق الله سبحانه وتعالى الناس لغاية سامية ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1] وهذا التكليف الذي شرف الله به الناس عام لذكرهم وأنثاهم، فمهمة العباد رجالاً ونساءً في هذه الحياة عبادة الله تعالى حق عبادته، وتسخير أيامهم ولياليهم في طاعة الله سبحانه، وابتغاء مرضاته، لا فرق في ذلك بين ذكر وأنثى من المكلفين.

ومن كرمه سبحانه وجوده وامتنانه : أن سخر لهم ما يعينهم على أداء هذه العبادة بجعل السنة مواسم يغنمها العابدون العالمون، ومن هذه المواسم: هذا الشهر الكريم، وإن المغبون حقاً، والمفلس صدقاً: من يمر عليه هذا الموسم وهو لا زال في سبات ولهو وعبث، والمتنافسون في الخير سبقوه وسجلوا في صحفهم ما يقربهم إلى خالقهم جل وعلا، والمرأة المسلمة في هذا الشهر الكريم تجعل في مقدمة أهدافها ومطالبها: تقديم أعمال صالحة تقربها إلى الله جل وعلا.

□ **الوقفة الثانية :**

أيتها المؤمنة بالله ربًّا وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً: هل أدركت معنى هذا الوصف الذي تتصفين به؟ هل أدركت أهميتك في هذه الحياة والغاية من وجودك فيها؟ وهل أدركت أنك مكلفة

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

بمهمة العبادة لله سبحانه وتعالى في هذه الحياة؟ وأنك محاسبة على ما تقومين به وتقدمينه؟ وهل فهمت أنك كالرجل تماماً في مهمة العبادة والتكليف؟ فأنت مسؤولة عن القيام بهذه العبودية، يخاطبك المولى جل وعلا فيقول: ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيراً. ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾[1].

❑ **الوقفة الثالثة :**

من حكمة الله تعالى في خلق الرجال والنساء: أن جعل لكل منهم سمات تغلب عليه، فالعاطفة الجياشة، والإحساس الرقيق، والتأثر السريع، كلها من صفات المرأة الجبلّية التي خلقها الله تعالى عليها، فإذا فهم الرجل والمرأة هذه الصفات؛ كان ذلك الفهم من مقومات الحياة السعيدة.

❑ **الوقفة الرابعة :**

ومن حكمة الله تعالى في خلق الرجال والنساء: أن نظم العلاقة بينهما على أساس شرعي، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[2]، فجعل العلاقة الشرعية هي الأساس في العلاقة بينهما، وجعل ثمرته سكناً تتحقق به سعادة الحياة، وعمران

---

(١) النساء، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤. (٢) الروم، الآية: ٢١.

الكون، و إنجاب الولد.

وقد أكد الدين على استقرار الحياة على هذا النحو لضمان سلامة الحياة دنيا وأخرى، فحدّ حدوداً ووضع حواجز وتكليفات تمنع ما يتسرب إلى تلك العلاقة فيفسدها، فجعل من أولويات هذه الحدود: الفصل بين الرجال والنساء وعدم اختلاطهم؛ لئلا تغلب قوة الجاذبية الفطرية فتفسد بينهما، وعليه فقد أمر الله سبحانه وتعالى المرأة المسلمة بالحجاب، وجعل الأَصل في حياتها: القرار في البيت، وعدم اختلاطها بالرجال، وأن لا تبدي زينتها.

اسمعي أيتها المسلمة قول الله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[1]، وهذا يشير إلى أصل مهم وقاعدة كبيرة: أن وظيفة المرأة الأساسية التي تحفظ بها إنسانيتها وكرامتها وعزها، والتي من خلالها تقوم بدورها الأساس، ومهمتها السامية، وتنفذ مسؤوليتها: هو البيت، يقول الرسول ﷺ فيما صح عنه: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»[2].

---

(١) الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) رواه البخاري مع الفتح ٢/ ٣٨٠ (٨٩٣) في الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ومسلم ٣/ ١٤٥٩ (١٨٢٩) في الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

وقد أحسن الشاعر إذ قال ـ واصفاً دور المرأة الأساس إذا قامت به وأحسنته :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وإن هذا الدور الجليل الذي تقوم به المرأة لتخرج الأجيال الصالحة النافعة من العلماء والأفذاذ، والمهندسين والأطباء، والقادة والعاملين، والدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولتخرج البنات الصالحات الواعيات المؤمنات.

إن هذا الدور الرائد لا يلغي ما تستطيعه المرأة المسلمة من أعمال أخرى لا تؤثر على عملها الأساس، فقد منح الله المرأة القدرة على الاندماج السريع مع النساء الأخريات، ومن هذا الاندماج تستطيعين أن تدعين إلى الخير، وتنشرين الحق والفضيلة بين أخواتك المسلمات.

ومما وهبه الله تعالى للمرأة: القدرة على التغلغل في أعماق الرجل والتأثير عليه، وهذا ما يلقي عليك مسؤولية تجاه زوجك خاصة، ومحارمك بعامة، نحو ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، فبالصدق والإخلاص، والحكمة والأسلوب الهادئ، وما تمنحينه زوجك من حب وسكن، تستطيعين أن تعيني زوجك على الخير وتحضيه عليه.

□ **الوقفة الخامسة :**

لقد وعى أعداء الإسلام دور المرأة المهم ومقامها الكبير، فسعوا بما يملكونه من قدرات وحيل إلى إشغالها وتدمير شخصيتها بكل

طريق، وما زالوا يحاولون أن يخدعوها ويخلبوا لبَّها بالفتن المغرية التي تستهوي المرأة عادة، من خلال وسائل الإعلام وعروض الأَزياء، وصور الحياة النسائية المتحررة من الفضيلة ونحو ذلك، فلتحذر المرأة المسلمة أن يخدعها أولئك الأَعداء وإن لبسوا ثياب الزينة الخدّاعة، وتحلوا بالأَلفاظ البرَّاقة.

فاحذري ـ أيتها المؤمنة الصائمة ـ أن تركني ولو شيئاً قليلاً إلى ما تمليه عليك تلك الاتجاهات الباغية الضالة، فإن في هذا الركون الخسارة والعار والبوار، وقاك الله كيد الكائدين.

ورمضان بخصوصياته الإيمانية، وأعماله الجليلة، والتي للمرأة نصيب كبير منها؛ يوجه المرأة ألاَّ يكون همها في هذا الشهر مقتصراً على النوم الطويل، والتفنُّن في المآكل والمشارب تضاهي الأخريات فيه، أو على السهرات غير المفيدة في الأَسواق وغيرها، فاجعلي رمضان مُنْطَلَقاً لأَعمال الخير المتعددة، ولتجديد دورك الرائد في الحياة كلها من قراءة وذكر ودعاء وتربية ودعوة إلى الخير، واملئي وقتك بذلك كله حتى حال حدوث عارض الحيض والنفاس، فاشغليه بغير ما منعت منه، فقد منعت من الصلاة والصيام، أما أعمال الخير الأخرى فمفتوحة والحمد لله.

أسأل الله تعالى أن يدلنا على الخير وأن يرزقنا العمل به، وأن يصلح نساءنا ونساء المسلمين في كل مكان، وأن يحميهن من كيد الكائدين وحيل العابثين، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

العلاقات الاجتماعية

الحمد لله الرؤوف الرحيم، العليم الحكيم، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأحكم شرائعه ببالغ حكمته بياناً للخلق وتبصيراً، أحمده سبحانه وأشكره على آلائه السابغة، ونعمه المتتالية، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، أما بعد :

أيها المسلمون الكرام :

شهر رمضان المبارك فرصة عظيمة لتجديد المعاني الإيمانية في النفوس، وبعث خصال الخير المكنونة فيها، وإحياء العلاقات الاجتماعية، والصلات القوية، والروابط الأُسرية، التي تتأثر بعوامل نفسية وزمنية، مع هذه العلاقات وتلك الروابط، وإحياء رمضان لها، نقف الوقفات الآتية :

❑ **الوقفة الأولى :**

لقد بعث الله محمداً ﷺ إلى الناس كافة؛ ليدلهم على كل خير ويحذرهم من كل شر، فأقرّ ما كان من خير سائد في الجاهلية، وأبطل كل شر يفسد على الناس حياتهم.

ومما أبطله هذا الدين، وشدد النكير عليه: ما تقوم عليه العلاقات

أحياناً بين الناس من جاهلية وعصبيات، والتي كان شعار الجاهلية فيها:

وأحياناً على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

فرسم هذا الدين تلك العلاقات على أسس متينة وقواعد صلبة، فجعل للروابط بين المسلمين أيًّا كان نوعها شأناً عظيماً عند الله سبحانه وتعالى، فنظم العلاقات في البيت الواحد والأسرة الواحدة، وفي دائرة الأقارب والجيران وغيرهم، وجعل لكل صنف يتعامل معهم المسلم حقوقاً خاصة يجب على الفرد رعايتها والاهتمام بها، وأساس هذه العلاقات كلها هو الدين والتقوى، ورسم آداباً عامة في كل تلك العلاقات، يقول تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾[3].

هذا أنموذج لتلك الوشائج وآدابها التي تكون بين المسلمين

---

(١) الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) الحجرات، الآية: ١١.

(٣) الحجرات، الآية: ١٢.

بعامة، فحريّ بالمسلم أن يتمثل هذه القواعد في كل علاقاته مع إخوانه المسلمين قربوا أو بعدوا.

□ الوقفة الثانية :

لا شك أن تلك الروابط تزداد وثاقة ومتانة كلما قربت الصلة بين الناس، وقد راعى الإسلام هذا الأمر فزاد في وجوب قوة الرابطة ومتانة العلاقة.

وعلى رأس هؤلاء الذين تزداد العلاقة معهم، وتوجب على الأفراد قرباً منهم، هم الرحم والقرابة، وفي مقدمتهم الوالدان، فقد جعل الإسلام لهما منزلة خاصة وصلة فريدة من نوعها، وحقوقاً كبيرة، ويكفي لبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل حقهما مقترناً بحقه سبحانه وتعالى، فها أنت أخي المسلم تقرأ في كتاب الله تعالى مردداً: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾[1].

فهل هناك تعاليم بشرية، ومقررات تربوية، أسمى من هذه التعاليم، وأقوى من هذه التربية؟ فالحبل الواصل بين الأبناء والبنات وبين الوالدين حبل متين، ما إن يحاول الابن والبنت إضعافه وقطعه إلا ويقع في العقوق والعياذ بالله، فالإحسان بمختلف شعبه: من القول اللين، والقيام

---

(١) الإسراء، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

بحاجاتهما مادياً ومعنوياً، والدعاء لهما، وتلبية مطالبهما، من بدهيات حقوقهما، حتى وإن أحسست منهما بتعامل لا ترضاه أو بخطإٍ في أمر معين لا يعجبك، وإن أغضباك؛ فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً، فهل يعي الأولاد عمق هذه الرابطة فيطبقوها، ناهيك عما يتعلق بأعمال القلب من الحب والمودة والرأفة والشفقة وغيرها من المعاني السامية ؟!

□ الوقفة الثالثة :

وتتسع دائرة الصلة لتشمل الرحم والأَقارب، فلهم شأن عظيم، وأمرهم كبير، وميزانهم في دين الله جل وعلا دقيق، هذه الرحم المتعلقة بعرش الرحمن تطالب بأن يصل الله سبحانه وتعالى من وصلها ويقطع من قطعها، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك»[1].

ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم

---

(١) رواه البخاري ٨/ ٥٧٩ برقم (٤٨٣٢) في تفسير سورة محمد، باب قوله تعالى: ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾، ومسلم ٤/ ١٩٨٠ برقم (٢٥٥٤) في البر والصلة، باب صلة الرحم.

وأعمى أبصارهم﴾[1].

فمن حقوق القرابة: السلام والكلام الطيب، والسؤال عن الحال، والزيارة والهدية، والتهنئة بالنعمة، والدعوة للاجتماع، ومساعدة المدين المعسر، وبذل الجاه، وقضاء الحاجات، والتلطف في التعامل، فهذه وأمثالها مما يزيد في الوصال، وتنمي المال والرزق والعمر، وتزيد في الحسنات، وتكفر السيئات، وترضي الخالق سبحانه وتعالى.

وإن الناظر في أحوال الناس ليجد مظاهر لا ترضي الله تعالى، وتزيد الضغينة والقطيعة، وتوقع في الإثم، نجد انقطاعاً وهجراً، وهمزاً ولمزاً، وحقداً وبغضاً؛ فهذه كلها سبب لغضب الله تعالى، وعقوبته العاجلة والآجلة.

❑ **الوقفة الرابعة:**

أخي المسلم: يتعامل كل مسلم مع أقاربه على أساس الدين، فيحب لهم ما يحب لنفسه، ويقوم بتلك الأعمال الجليلة، هذا ما يوحيه الوصف الإيماني الذي يتصف به المؤمن وهو يصوم في هذا الشهر المبارك.

والعلاقة الإيمانية بين المسلمين بعامة لا تنقطع، فكل له حقوقه وواجباته، ناهيك إذا كان المسلم عالماً من علمائك، أو صاحب

---

(١) محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

معروف عليك، أو جاراً من جيرانك، فهؤلاء وأمثالهم تزداد حقوقهم، وتتأكد في حالة الصلة والقربى، روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[1].

وكل هذه الحقوق مدارها على المحبة والمودة والإخاء والصفاء، فمن مقتضيات الإيمان بالله تلك المحبة والمودة، جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2]، فهل وضعت أخي المسلم في برنامجك اليومي والأسبوعي، زيارة من له حق عليك، وإعانة من هو محتاج، وسداً لمعوز، ودعوة لضال، وعطفاً على مسكين أويتيم، ومساعدة للاّجئين والمجاهدين من إخوانك المسلمين، ودعاءً في وقت إجابة لهم؟

إن المؤمن وهويعيش في ظلال هذا الشهر يراجع نفسه؛ ليجدد تلك المعاني لكل من له صلة به، ليقوم بهذه الصلة في مختلف أبوابها وشعبها.

أسأل الله تعالى أن يتقبل من الجميع أعمالهم، وأن يبصرهم

---

(١) رواه مسلم ٤/ ١٧٠٥، برقم (٢١٦٢) في السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٩٢٥)، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٧٢.

(٢) رواه البخاري مع الفتح ١/ ٥٧ برقم (١٣) في الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه، ومسلم ١/ ٦٧ (٤٥) في الإيمان.

بشؤون دينهـم، ويقوّي علاقتهم علـى أساس من المـودة والمحبة، وأن يرحم موتاهم، وييسر أمورهم، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

❑ ❑ ❑

المستضعفون والعمال والخدم

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان على المنهج الأحمد، أما بعد:

وقفنا فيما سبق وقفات سريعة حول العلاقات الاجتماعية في ديننا الحنيف، الذي حرص على الترابط والتآلف، والتآخي والتصافي، والمودة والمحبة، وأوجد الوسائل المتعددة لتوثيق هذه الوشائج، ابتداء بأقرب الأقربين للمسلم وهم والداه الكريمان، ثم تتسع دائرة العلاقات الودية المبنية على الحقوق الشرعية بين المسلمين بعامة.

ولأن هذا الدين دين المودة والمحبة «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1]، فإنه يوجهنا إلى فئام من المسلمين لهم حقوق خاصة، غفل عنها البعض وتشاغل عنها الكثير، وجهلها آخرون، نقف مع هذه الفئام وقفات متفرقة علّ الله تعالى أن يجعل في ذلك ذكرى ينتفع بها المؤمن الحق :

(١) رواه البخاري ١/ ٥٧ برقم (١٣) في الإيمان، باب من الإيمان أن يُحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، ومسلم ١/ ٦٧ برقم (٤٥) في الإيمان.

❏ الوقفة الأولى :

لقد امتن الله علينا سبحانه وتعالى بهذا الدين، دين النور والهدى، دين الخير والسعادة، دين الراحة والطمأنينة، وذلك لأن المؤمن بهذا الدين لايعيش في هذه الدنيا لوحده، أنانياً، فردياً، بل هو أمة إذا قام بما حمله الله سبحانه وتعالى من أمانة عظيمة عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال، وناءت بحملها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان يقول تعالى: ﴿إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[1].

هذه الأمانة هي أمانة القيام لله تعالى بمنهجه، والقوامة على البشرية كلها؛ تأطرها على الحق، وتدعوها إلى الصراط المستقيم، وتخرجها بإذن الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ومن مقتضى هذه الأمانة: عدم انعزال الفرد المسلم بمعزل عن مجتمعه وأمته، وركونه إلى ما يردد من عبارات يسولها الشيطان للكثير من الناس لعدم الاكتراث بمجموع الأمة، فقائل يقول: مالي ومال الناس، لست وكيل آدم على ذريته، وآخر يتعلل بأن إرشاد الآخرين ودعوتهم كلفت الأمة بمجموعها به... وهكذا، ولم يعلموا أن هذا المنطق منطق التخاذل الذي جرّ الأمة إلى التأخر والتقهقر، وهو منطق

---

(١) الأحزاب، الآية: ٧٢.

مخالف لهذا الدين وتعاليمه؛ لقول الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[2]، ولقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[3].

فهذه الآيات الكريمة وغيرها من آيات وأحاديث نبوية تجعل المسلم لا يقف جامداً أمام الخير فلا ينمّيه، ولا أمام الشر فيتركه، فالمسلم عنصر إصلاح وتقويم حيثما كان، فالرسول ﷺ يقول: «بلِّغوا عني ولو آية»[4]، كل ذلك مشاركة في النمو الإيجابي للأُمة كلها نحو الخير والصلاح، فهل يعي كل مسلم هذه الحقيقة فيبادر إلى بذل ما يستطيعه من خير، ولو كان قليلاً؟

❑ **الوقفة الثانية :**

من هذا المنطلق الإيماني العظيم - أعني حب الخير للآخرين والعمل لإيصاله - نجد إخواناً لنا من المسلمين في أرجاء المعمورة كلها يعيشون أوضاعاً يندى لها جبين المسلم، بين الجوع والتشرد، والقتل والبطش، والفقر والمسكنة، ناهيك عن الجهل بالدين وعدم

---

(١) آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) المائدة، الآية: ٢.

(٣) النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) رواه البخاري ٦/ ٤٩٦ (٣٤٦١) في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي (٢٦٦٩) في العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل.

التمسك بتعاليمه، مع رغبتهم في معرفته وتعلمه، مع الجهود الجبارة من الهيئات الكافرة بأنواعها تنصيرية وتغريبية؛ لمسخ عقولهم، وإبعادهم عن دينهم، واستعمال شتى الوسائل الماكرة كالجهود الإغاثية والصحية وغيرها، ولهذا فهم بأمس الحاجة إلى مَدٍّ يد العون والمساعدة لهم، وتقديم ما يحفظون به حياتهم من الهلاك، وأجسامهم من العري، وبطونهم من الجوع.

وبحاجة ماسة إلى من يهديهم سواء السبيل بتعريفهم بدينهم الصحيح، وتصحيح عقائدهم من الشرك والفساد والضلال، هذه المطالب الكبيرة حجماً ومعنى وثمرة لهؤلاء البؤساء، باستطاعة أي مسلم قادر ماديًّا أن يسهم فيها وينفع إخوانه، وينشر دين الله تعالى، بأن يقدم الفرد ما يستطيع مما تجود به نفسه من نفقات مادية وعينية، وتتولى الهيئات الموثوقة نيابة عنه إيصالها إلى مستحقيها، وتوظيفها بما ينفعهم من شراء الكتب، وبناية المساجد، والمدارس، وشراء ما يحتاجون من مطعم ومشرب، وثواب ذلك لك ولمن شاركك، وفضل الله واسع وعطاؤه لا ينفد.

□ الوقفة الثالثة :

وفئة أخرى تعيش بيننا في وسط مجتمعنا، جلبناها برغبتنا ولحاجتنا إليها، تشاركنا في أعمالنا، وفي مؤسساتنا، بل في مزارعنا وبيوتنا، تلكم هي فئة العمالة الوافدة من أقطار مختلفة، جاؤوا ليعيشوا فترة من الزمن معنا، عمالاً في المزارع والمصانع، وسائقين وخدم،

وموظفين في مؤسسات، جنسياتهم مختلفة، ولغاتهم متعددة.

هؤلاء وقد وفدوا إلينا برغبتنا، ولاشك أننا مسؤولون عنهم، فكثير منهم مسلمون ولكن بالهوية، وآخرون تعلّقوا بطقوس وعادات خارجة عن هذا الدين وتعاليمه، فلا يكن حظك ـ أيها المستقدم لهم ـ أن يشاركوك في دنياك دون أن تهدي لهم ما ينفعهم في دينهم وينفعك عند خالقك «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[1]، وفي رواية أخرى: «خير لك من الدنيا وما فيها»، والأمر في ذلك سهل ميسور فمكاتب توعية الجاليات متيسرة والحمد لله، ولديها الوسائل المعينة من أشرطة وكتب ودعاة ما يساعد على هذه المهمة الجليلة، والمسؤولية في ذلك ـ أيها المسلمون الكرام ـ مسؤولية مشتركة ليست على المستقدم لهم مباشرة فحسب، فليكن لكل مسلم شرف الدعوة وإيصال الخير لهم.

فعلى كل من كان لديه عمّال أو خدم أن يقوم بحقوقهم الشرعية، وبما نص عليه في عقودهم، فالأمر دين، فمن أقدره الله تعالى على جلب هؤلاء فليعلم أن لهم حقوقاً عليه يجب أن يقوم بها، فقد قال رسول الله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[2].

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٦/ ١١١ برقم (٢٩٤٢) كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، في آخر الحديث، ومسلم ٤/ ١٨٧٢ برقم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب.

(٢) رواه ابن ماجه ٢/ ٨١٧ برقم (٢٤٤٢) في الرهون، باب أجر الأجراء.

أيها المسلمون الكرام :

إن رمضان المبارك بما فيه من أعمال خيرية يتنافس فيها الناس، يذكِّرنا بمثل هذه الحقوق والواجبات لتكون منهاجاً لنا في حياتنا كلها، فلنتق الله تعالى، ولنقم بحقوق الأقربين والأبعدين، ولا يحقرن امرؤ نفسه، وليقدم ما في وسعه من علم ومال، ووقت وجاه، فإنه أحوج إليه يوم يلقىٰ ربه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، أسأل الله أن يعيننا على حمل الأَمانة، وأن يرزقنا الإِخلاص في الأقوال والأعمال، والسير على منهاج نبينا محمد ﷺ، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



رسالة إلى التاجر والمدرس

الحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أحمده سبحانه، على جزيل نعمه ووافر عطائه.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث بالبر إلى الخلق، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل وأتباع الحق، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أما بعد:

فإن من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أن خلقهم في هذه الدنيا،وقدَّر أرزاقهم؛ ليقوموا بشؤون هذه الحياة، وليتقووا بها على طاعة الله تعالى، وجعلهم في ذلك متسابقين متبارين، وشهر رمضان المبارك بنفحاته الإيمانية يُذكِّر كل صنف من هؤلاء الناس ليقف مع نفسه محاسباً ومع وظيفته متأملاً، موظفاً أو عاملاً، تاجراً أو مسؤولاً، رجلاً أو امرأة، هل قام بعمله حق القيام؟ وهل استفاد من عمله ووجهه نحو الخير في الدنيا والآخرة؟ وهل أدى هذا العمل إلى نفع الآخرين.

مع بعض الأصناف في هذا الشهر المبارك نقف الوقفات الآتية:

□ **الوقفة الأولى :**

نقف فيها مع ذلك الصنف الذي ملأ وقته، وعمر ساعات ليله

ونهاره في جمع المال، عن طريق البيع والشراء، والصفق في الأسواق، يأخذ من هذا ويعطي ذاك، يربح تارة، ويخسر أخرى، يفرح لربحه ويحزن لخسارته، يشغل تفكيره في حساباته وزيادتها ونقصها، يخطط في شراء تلك السلعة أو السلع أو بيعها، يعمل ذهنه وتفكيره فيما يؤدي إلى زيادة هذا المال، يجدد حساباته ويحسب ربحه وخسارته كل سنة، لينظر ثمرة جهده واجتهاده.

ولا شك أخي المسلم أن البيع والشراء مما أحله الله سبحانه وتعالى، فقد أحل الله البيع وحرم الربا، وأن جمع المال في أصله مما أباحه الله تعالى لهذه الأُمة فضلاً منه ونعمة، ولكن هناك أمور مهمة أذكِّر بها إخواني التجّار:

أولاً: أن الله سبحانه وتعالى وإن أحل جمع المال؛ فقد شدّد في النظر إلى مصدره وطريقة جمعه، فليس لكل من أراد أن يجمع المال بأي طريقة شاء أن يفعل ذلك، بل بما يرضي ربه سبحانه وتعالى، ولذا جعل الأَصل الحلّ، وحذّر من أمور في التجارة، فالغش والخداع، والنجش، والزيادة في السلعة ـ الزيادة الفاحشة ـ والأيمان الكاذبة، والكذب والزور، والربا، وأكل أموال الناس بالباطل، والرشوة، والاختلاس، والسرقة، وبيع وشراء المواد المحرمة ونحوها، أمراض إذا دخلت على المال أفسدته، ونزعت بركته، وعرضته للآفات والمخاطر، وأنبتت جسد صاحبه على الحرام.

ثانياً : هل علمت أخي التاجر أن المال مال الله تعالى، وأنه وديعة عندك يبتليك فيه، ينظر كيف تجمعه وكيف تصرفه، فالمسلم الحصيف العاقل هو الذي يملك المال، وليس يملكه المال، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الله تعالى سائلك عنه، كما صح عن رسول الله ﷺ: «من أين اكتسبته وفيم أنفقته؟»[1].

وهل حمدت الله سبحانه وشكرته على أن أقدرك على جمعه، وأغناك عن خلقه، فزادك هذا المال قرباً من الله تعالى وتواضعاً وخلقاً سمحاً، وتعاملاً حسناً مع عباد الله؟ أم أنت من ذلك الصنف الذي أدى به هذا المال إلى الطغيان والغرور والأشر والبطر وغمط الناس حقوقهم؟ لا جعلك الله كذلك.

ثالثاً : ومما نتذاكر به: مصارف هذا المال، فالله جل وعلا طيب لا يقبل إلا طيباً، وقد أمر عباده المؤمنين أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، فهل دققت أخي صاحب المال في مصارف هذا المال وعرفت أين تنفقه؟ وهل توسطت في هذا الإنفاق على أهلك وأسرتك فكنت بين الإسراف والتقتير؟ وهل راعيت حال إنفاقك من حولك في مجتمعك؟ وهل أخرجت زكاة مالك طيبة بها نفسك وصرفتها في مصارفها الشرعية غير مراء بها ولا مسمع؟

وهل استشعرت تلك الفئام من المسلمين في أصقاع المعمورة كلها؛ لتخصص جزءاً من مالك لتسد حاجاتهم، وتشاركهم في

(١) رواه الترمذي ٤/ ٥٢٩ برقم (٢٤١٧، ٢٤٦٠) في صفة القيامة، باب ما جاء في القيامة.

جهادهم وغزو أعدائهم، وتسهم في تعليم أبنائهم، وتعطف على أيتامهم، وتواسي أراملهم ومساكينهم؟

وهل خصصت جزءاً من مالك لأقاربك الذين لا يسألونك، وينظرون إليك لتباشر معونتهم وتقوم بالصلة الواجبة عليك؟ لاشك أن المسلم الذي ملك المال هو الذي يستشعر كل سبل الخير ليسهم فيها، فقدوته رسول الله ﷺ الذي ملك الدنيا، لكنه مات صلوات الله وسلامه عليه ودرعه مرهونة عند يهودي، ولم يرد سائلاً صلوات الله وسلامه عليه، وكان يتحسس حاجات المسلمين ويفرح بالقيام بها.

أخي صاحب المال: وأنت تحرص على حسابات أموالك وتعدادها؛ فليكن رمضان فرصة لمحاسبة نفسك في تعاملك مع هذا المال فيما يرضي ربك جل وعلا، أراك فاعلاً بإذن الله تعالى.

❑ **الوقفة الثانية :**

ونقف فيها مع صنف جنّد نفسه لخدمة غيره، يباشر هذه الخدمة صباحاً ويتعب لها مساءً، يعيش بين طلابه وتلاميذه، وبين كتبه ودفاتره، يحضّر معلوماته ويرتبها، يفرح إذا نجح طلاّبه، ويحزن إذا أخفقوا.

أولئك هم الجنود المجهولون لدى كثير من الناس، يوجهون أبناءنا ويربونهم، ويباشرون تعليمهم، حيث سلمناهم الأمانة لرعاية هؤلاء الأولاد، فلعلنا نتذاكر مع هؤلاء الجنود (المدرسين) بعض شؤونهم :

أخي المربِّي :

لقد اختارك الله سبحانه وتعالى لتقوم بمهمة محمد ﷺ، تربي الناس وترشدهم إلى الخير، ورثت ميراثه لتقوم بوظيفته ﷺ، فهل استشعرت حال قيامك بهذه المهنة الجليلة: النية الصالحة الخالصة، وعرفت أن قدوتك في هذه المهنة هو أفضل الأنبياء والبشر عليه الصلاة والسلام، وسخرت جميع أعمالك ورسالتك، وبذلت جميع إمكاناتك العلمية والعملية والتربوية والإدارية لتنجح في عملك؟ وهل وضعت ضمن قواعد عملك ثِقَل هذه الأمانة وعظم الرسالة وأنها أعظم أمانة، كيف لا وهي تربية الرجال ليتخرجوا نافعين لأَنفسهم ومجتمعهم ووطنهم وأمتهم؟

وهل نظرت في طريقتك، وأسلوب تعليمك، وتعاملك مع طلابك، واجتهدت في ذلك؟ وغني عن القول أن تُذَكَّر بأنك قدوة لطلابك في مظهرك ومخبرك، فطلابك يرونك مرآة لهم، والحسنة التي تقولها وتعلمها لك أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فهنيئاً لك أخي المربي تلك الوظيفة الجليلة إذا ما رعيت حقوقها ووعيت قيمة هذه الرسالة، وستكون حينئذ حركاتك وسكناتك، وأقوالك، وأعمالك، وسلوكك وتصرفاتك، حسنات وأجوراً مضاعفة عند الله سبحانه وتعالى، سوى ما تناله في هذه الدنيا.

ورمضان المبارك بما يحمل للأُمة المسلمة من خير عظيم، يذكرك بمراجعة نفسك لتجدد العزم، وتعيد النظر في وضعك، وتصحح النية،

فلعلك تنال مبتغاك في الدنيا والآخرة، وما يُقال عن المعلم المربي يُقال عن المعلمة المربية.

واعلم ـ أخي المسلم ـ أن المعلم لا يستطيع أن يقوم بمهنته بمعزل عن مساعدة الأسرة وتعاونها، فلكي تتخرج الأجيال الصالحة: مُدُّوا أيديكم وجهودكم لمساعدة المعلم، عن طريق زيارته بالمدرسة والكتابة له، والمشاورة معه في الأساليب الناجحة، وفقنا الله وإياكم إلى كل خير ورزقنا الإخلاص في الأَقوال والأَعمال، وجنبنا الزيغ والانحراف، ومتعنا بالصحة والعافية والمعافاة الدائمة، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



وقفات في علاقة المخلوق بالخالق، والمخلوق بالمخلوق

الحمد لله الذي أمرنا بأفضل الأعمال وأزكاها، وشرع لنا أفضل الشرائع وأسماها، وأصلي وأسلم على نبينا محمد البشير النذير، وعلى آله وأصحابه ومن على هداهم يسير، أما بعد :

أيها المسلمون الكرام:

نعيش هذه الأيام الأخيرة من هذا الشهر الكريم، ونفوس المؤمنين الصادقين تتمنى أن كل السنة رمضان، ولكن هذه هي حكمة الله سبحانه وتعالى، والسعيد كل السعادة: من صام رمضان، وقام لياليه، واغتنم أوقاته الشريفة في عمل الصالحات بإخلاص ورغب ورهب، فأكرمه الله تعالى بالثواب الجزيل والرحمة والمغفرة والعتق من النار، والشقي من حُرم ذلك وفرط في أيام وليالي هذا الشهر المبارك.

أيها الإخوة المسلمون :

ونحن في هذه الأيام الأخيرة منه لنا وقفتان جديرتان بالاهتمام؛ إحداهما في علاقة المخلوق بخالقه جل وعلا، والأخرى في علاقة المخلوق مع أخيه المخلوق:

❑ أما الوقفة الأولى :

فالله سبحـانه وتعالى عفو كـريم، غفور رحيم، يغفر الـذنب، ويقبل توبـة المسيء من عباده، ويعفو عـن الزلات، يعلم من عباده سبحـانه: التقصير والخطأ والذنب، فإذا تاب العبـد فالله جل وعلا أكرم الأكرمين، وأجود الأجـودين، ولا شك بأن المسلم والمسلمـة أثناء صيامهمـا لهذه الفـريضـة العظيمـة وقعت منهمـا أخطـاء وزلات، وقصـروا فـي بعض جوانب الصوم من حيث يشعرون أو لا يشعـرون، ولهذا شرع الله سبحانه وتعالــى مـا يجبـر هذا التقصيـر، ويقـوم مـا اعـوجّ من خلـل، وذلك بتشريعـه جل وعـلا صيام النوافـل، فـفي صيامهـا تكفـير للـذنوب، وعفـو عن الزلـل، وتكثير للحسنـات، وتكميل لما نقـص في الفريضـة بإذن الله.

وممـا شـرعـه الله سبحـانـه وتعالـى: صيـام ستـة أيـام من شـوال متتابعات أو متفرقات في أول الشهـر أو آخره، روى مسلم وغيره عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كـان كصيام الدهر»[1] وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالهـا، كما جاء مفسـراً من حديـث ثوبان رضي الله عنـه أن النبي ﷺ قال: «صيـام رمضان بعشـرة أشهر، وصيـام ستة أيـام بشهرين، فـذلك صيام السنة» يعنـي صيام رمضان وستة أيام بعـده، رواه أحمد والنسائي

(١) رواه مسلم ٢/ ٨٢٢ في الصيـام، بـاب استحباب صـوم ستـة أيـام من شـوال إتبـاعـاً لرمضان، وأبو داود ١/ ٧٤٠ برقم (٢٤٣٣) في الصيام، باب في صوم ستة أيام من شوال.

وغيرهما[1].

ومن ذلك: صيام يوم عاشوراء، فقد صامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه، كما حدث بذلك ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع»[2] يعني مع العاشر.

وكذلك صيام يوم عرفة لغير الحاج، فقد ورد أنه «يكفر السنة الماضية والباقية»[3].

وكذلك صيام ثلاثة أيام من كل شهر، والأفضل أن تكون أيام البيض، حدث أبو هريرة رضي الله عنه قال: (أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أنام)[4].
وروى الترمذي وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صمت من الشهر ثلاثاً فصم: ثلاث عشرة، وأربع عشرة،

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٢٨٠ والدارمي ٢/ ٢١، وابن ماجه (١٧١٥) في الصيام، والنسائي في الكبرى ٢/ ١٦٣ برقم (٢٨٠) في الصيام، باب صيام ستة أيام من شوال.

(٢) الأمر بصيام يوم عاشوراء من حديث ابن عباس رواه البخاري ٤/ ٢٤٤ برقم (٢٠٠٤) في الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، ومسلم ٢/ ٧٩٥ برقم (١١٣٠) في الصيام، باب صيام يوم عاشوراء، وأما قوله ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» رواه مسلم ٢/ ٧٩٨ برقم (١١٣٤) في الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء.

(٣) رواه مسلم ٢/ ٨١٩ برقم (١١٦٢) في الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء، والاثنين والخميس، وأبو داود (٢٤٢٥) في الصوم، باب في صوم الدهر تطوعاً.

(٤) رواه البخاري ٤/ ٢٢٦ برقم (١٩٨١) في الصوم، باب صيام البيض، ومسلم ١/ ٤٩٧ برقم (٧٢١) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى.

وخمس عشرة»[1].

وكذلك صيام يوم الاثنين والخميس؛ لما روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم»[2].

فضل الله واسع، وعطاؤه جزيل، لم يبق علينا ـ ونحن في الأيام الأخيرة من هذا الشهر الكريم ـ إلا أن نشمر عن ساعد الجد، ونعوِّض ما فاتنا، ونجبر النقص الذي حصل في صيام هذا الشهر باستصحاب النية، والعزم على صيام شيء من النوافل وبخاصة ستة أيام من شوال.

❑ **والوقفة الثانية :**

في علاقة المسلم بأخيه المسلم وهو يودع هذا الشهر وقد اكتسب منه فضائل كثيرة ومحاسن، ومن أهمها: تصفية القلب مما يكدر عليه صفوه، وتطهير النفس من شوائبها، وغسل الفؤاد من أدرانه، إذْ يعلمنا رمضان تطهير القلب والجوارح، كما قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه وشهوته»[3]، وفي الحديث الآخر: «فإن سابه أحد فليقل: إني صائم»[4] تذكير بما للصوم من مكانة تمنع اللسان من النطق بالفحش والسب

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٥٢، والترمذي ٣/ ١٣٤ برقم (٧٦١) في الصوم، باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، والنسائي ٤/ ٢٢٢ في الصيام، باب ذكر علي موسى بن طلحة.

(٢) رواه الترمذي ٣/ ١٢٢ برقم (٧٤٧) في الصوم، باب ما جاء في صوم يوم الاثنين والخميس.

(٣) رواه البخاري ٤/ ١١٦ برقم (١٩٠٣) في الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به، وأبو داود ١/ ٧٢٠ برقم (٢٣٦٢) في الصوم، باب الغيبة للصائم.

(٤) رواه البخاري ٤/ ١١٨ برقم (١٩٠٤) في الصيام، باب هل يقول: إني صائم، ومسلم =

والشتائم، ودرس عملي لأن تكون الرابطة بين المسلمين رابطة أخوة ومحبة وصفاء، فعلينا أن نتذكر بهذه المناسبة وصايا المصطفى ﷺ والتي يجسدها رمضان، ومن ذلك:

قوله صلوات الله وسلامه عليه: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[1] رواه مسلم، وهذا تفسير وتأكيد لما أخبر الله سبحانه وتعالى به: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[2]، ولقوله ﷺ: «لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»[3]، وقال ﷺ: «تعرض الأعمال في كل يوم اثنين وخميس فيغفر الله في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء

= ٢/ ٨٠٦ في الصيام، باب فضل الصيام.

(١) روى البخاري شطره الأول ٩/ ١٩٨ برقم (٥١٤٣) في النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه، ومسلم بكامله ٤/ ١٩٨٦ (٢٥٦٤) في البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره.

(٢) الحجرات، الآية: ١٠.

(٣) قوله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» رواه البخاري ١٠/ ٤٩٢ برقم (٦٠٧٦) في الأدب، باب الهجرة، ومسلم ٤/ ١٩٨٣، ٢٥٥٩ في البر والصلة، باب تحريم التحاسد والتباغض.

فيقول: اتركوا هـذين حتى يصطلحا»[1]، والنصوص في هـذا كثيرة جداً لا يتسع الوقت لسردها، ولكن المقصود التنبيه والتذكير.

أيها الإخوة المسلمون :

لا شك أنـه يشـوب عـلاقـات بعض الأسـر والأقـارب والجيـران والأصحاب والأصدقـاء ، بعض التكدير؛ لأسباب قد تكـون غير سليمة أو مبنيـة على الظن، أو على نقـل كلام غيـر صحيح ونحـو هذا، ولهـذا نوجه دعـوة صادقة ـ ونحن على مشـارف نهاية شهر رمضان ـ أن نزيل تلك الأكدار، وأن نجـدد علاقات بعضنا ببعض، وأن يكـون هذا الشهر المبارك خير معين لنا على ذلك، وليضاعف الله لنا الأجر والثواب.

دعـوة لكل قريـب بأن يصفح عن زلات قـريبـه، ويبادر إلى صلتـه وزيارته والتقـرب إليه، ودعوة صادقـة لكل جار بأن يحسن العـلاقة مع جاره ويتحسس أحواله، ودعوة لكل صـديق وزميل بأن تصفو علاقاتهم وتسودهـا المحبة فـي الله والمودة فيـه، والأخوة الصـادقة، ودعـوة لكل مسؤول أن يـرأف بمسؤوليه، ويجعل الأخـوة هي القاعدة فـي التعامل، والعدل هـو شعاره فـي العمل، ودعوة لكل مسلـم بأن يقوم بحـق أخيه المسلم؛ فـالمؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشد بعضـه بعضاً، والأخـلاء يوم القيـامة أعـداء إلا المتقين، فعلـى كل مسلم أن يقـوم بحقـوق إخوانـه المسلمين، يبـادرهم بـالسلام بكـل سرور وبشـاشة، ويـزور مـريضهم،

---

(١) رواه مسلم ٤/ ١٩٨٧ برقم (٢٥٦٥) في البر والصلة، بـاب النهي عن الشحناء والتهاجر، وأبو داود ٢/ ٦٩٧ (٤٩١٦) في الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم.

ويحترم كبيرهم، ويعطف على صغيرهم، ويتصدق على فقيرهم، ويحسن لمسيئهم، ويصلح بين متخاصميهم بالمعروف، وينصح مخطئهم، ويقوِّم معوجهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

لابد ـ أخي المسلم ـ أن نخرج من رمضان بهذه الحقوق عاملين مطبقين، فالله أن نحقق ما يريده منا خالقنا، أسأل الله أن يعيننا على أدائها، وأن يحقق لنا ما يرضيه آمالنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا ويكفر عنا سيئاتنا ويرفع درجاتنا، إنه سميع مجيب وهو المستعان.



وقفات مع ختام الشهر (التوبة، صدقة الفطر)

الحمد لله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، غافر الذنب، قابل التوب شديد العقاب، أحمده سبحانه على سابغ فضله وجزيل نعمه، وأصلي وأسلم على النبي الأمين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فقد عاش المسلمون في هذا الشهر المبارك، صائمين نهاره، قائمين ليله، مجتهدين في عبادته، سالكين مسالك الطاعة والقربة، متنافسين فيها، مبتعدين عن المعصية، راجين غفران الذنب وتكفير السيئات، وزيادة الحسنات ورفعة الدرجات، والعتق من النار.

حقاً ـ أخي المسلم ـ هذه حال الموفق الصائم الذي سار في صيامه على هذا المنهج القويم والطريق المستقيم.

وكل عامل يتعب في عمله ويجتهد فيه؛ يحب أن تكون ثمرته يانعة، ونتيجته حسنة، فيفرح بها ويتطلع للمزيد من أعمال الخير والبر.

ونحن نودع الشهر العظيم، والوافد الكريم، يقف المسلم مع نفسه وقفات محاسبة وتأمل، لعل الله سبحانه قد كتبه من الذين غفرت ذنوبهم، وكفرت سيئاتهم، وأعتقت رقابهم من النار، وتقبل صيامهم

وقيامهم، والله سبحانه بفضله العميم وخيراته الكثيرة شرع لنا أموراً في ختام شهرنا وعند وداعه، والتي هي علامة على القبول والرضوان، نقف مع بعضها الوقفات الآتية:

□ **الوقفة الأولى :**

لا شك أن المسلم المجتهد في العبادة والطاعة الذي لم يفرط في وقته وجهده يخشى أن يكون زلّ زلة، أو أذنب ذنباً، أو قصّر في صيامه وقيامه، وإحسانه، ولذلك شرعَ الله سبحانه ما يقوم به من عمل يطهر به ما حصل في صيامه من نقص ولغو وإثم، وما يؤدى به شكر نعمة الله تعالى على إتمام الصيام والقيام في هذا الشهر العظيم، وما أدّاه من أعمال صالحة أخرى، وما يكون فيها مسهماً فيه نحو إخوانه المسلمين الذين هم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فيشارك الفقراء إخوانهم الأغنياء، ويكفوا عن المسألة في ذلك اليوم السعيد، وليظهر الجميع فرحهم وغبطتهم على ذلك التعاون الفريد بين مختلف فئات المسلمين؛ أغنياء وفقراء، محتاجين ومعوزين، ومسددي الحال.

تلكم ـ أيها المسلمون الكرام ـ ما شرعه الله سبحانه من صدقة الفطر، ففيها من الحِكَم والأسرار مما ذكر ومما لم يذكر ما لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، روى أبو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها

بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)[1].

□ الوقفة الثانية :

صدقة الفطر فريضة على كل مسلم، كبيراً أو صغيراً، ذكراً أو أنثى، حرًّا أو عبداً، روى الشيخان رحمهما الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأُنثى، والصغير والكبير، من المسلمين»[2].

أما الجنين الذي في بطن أمه فلا تجب عليه ولكنها تستحب؛ لفعل عثمان رضي الله عنه، وعلى هذا فيخرجها الرجل عن نفسه، وعن من تلزمه مؤونته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم، فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوا عن أنفسهم؛ لوجوبها عليهم.

أما ما يُخرج في هذه الزكاة فهو طعام الآدميين من تمر أو برٍّ أو أرز، ونحوه من طعام بني آدم، كما سبق في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ومما يحسن التنبيه عليه أنه لا يجزئ قيمة الطعام؛ لأن ذلك

---

(١) رواه أبو داود ١/ ٥٠٥ برقم (١٦٠٩) في الزكاة، باب زكاة الفطر، وابن ماجه ١/ ٥٨٥ برقم (١٨٢٧) في الزكاة، باب صدقة الفطر.

(٢) رواه البخاري ٣/ ٣٦٧ برقم (١٥٠٣) في الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، ومسلم ٢/ ٦٧٧ برقم (٩٨٤) في الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين.

خلاف ما أمر به رسول الله ﷺ.

أما وقت وجوبها فهو غروب شمس ليلة العيد، ويجوز دفعها قبل العيد بيوم أو يومين، وأفضل الأوقات بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد؛ لما روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة[1]، ولا يجوز تأخيرها إلى ما بعد الصلاة إلا بعذر، وتدفع هذه الزكاة للفقراء والمساكين، ويجوز إعطاؤها فقيراً واحداً أو توزيعها على مجموعة فقراء.

فيا أيها الصائمون: طهِّروا صيامكم بهذه الزكاة في نهاية شهركم، وواسوا بها إخوانكم، واشكروا ربكم على أن وفقكم للطاعات والقربات، تقبل الله مني ومنكم.

□ الوقفة الثالثة :

ونحن نختم هذا الشهر المبارك نحس باللوعة لفراقه، والأَسف على تفريطنا فيه، ونجد الناس قد تفاوتت أحوالهم؛ فذاك صائم نهاره، قائم ليله، يدعو ربه، ويواسي إخوانه، ويتقلب من طاعة إلى طاعة؛ فهنيئاً لهذا على ما قدم إذا تحلت أعماله بالإخلاص والصدق.

وآخرون فرَّطوا وضيَّعوا، ذهب وقتهم سدى، نهارهم يتقطع في أعمال دنيوية، وليلهم في سهرات لا فائدة منها، كتبت تلك الساعات

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٣٦٧ برقم (١٥٠٣) في الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، ومسلم ٢٠/ ٦٧٩ برقم (٩٨٦) في الزكاة، باب الأمر بإخراج زكاة الفطر قبل الصلاة.

من أعمارهم ولم يزدادوا بها قرباً من مولاهم، ولم يستفيدوا من شهرهم، ونسوا ربهم وهم يتقلَّبون في نعمه، ولم يقوموا بحقه ويمتثلوا أمره ويجتنبوا نهيه وهم عبيد من عباده.

فإلى هؤلاء، وإلى كل مسلم صام الشهر وقامه، وإلى كل معترف بالذنب والتقصير، وإلى كل مفرط في الشهر: اختموا شهركم بالحسنى فإن الأعمال بالخواتيم، قبل أن تندموا ولات ساعة مندم.

اختموا شهركم بالاستغفار والتوبة والإنابة، فإن الإنسان لا يخلو من الخطأ والتقصير، وكل بني آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوابون، استغفروا ربكم ليغفر لكم، وتوبوا إليه ليتوب عليكم، واختموا بالحسنات، فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾[1].

ولا يقولن أحد: إنني لم أخطئ ولم أذنب، فهذا من الإعجاب والغرور، فكل بني آدم خطَّاء، ورسول الله ﷺ أفضل البشر يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من مائة مرة.

ولا يقولن أحد: إنني قصَّرت وفرطت في جنب الله، وماذا تنفع توبتي الآن؟ فهذا من اليأس والقنوط، فقد قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن يغفر الذنوب

---

(١) سورة هود، الآية: ٣.

جميعاً إنـه هو الغفور الرحيـم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا لـه من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾[1].

واعلموا أن الله تعالى يحب عباده التوّابيـن، ويفرح بتوبة عبده أشد من فرح من ضلت راحلته وعليها طعامـه وشرابه ثم وجدها بعد اليأس، يقول سبحانه: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[2].

فاختمـوا شهركم بالتـوبة النصوح بـإخلاص وصدق ونـدم على ما سلف من الـذنوب، وإقلاع عن كـل معصية، وردِّ المظالم إلـى أهلها، وبعزم صـادق على عدم العـودة إليها، وعلى إبدالهـا بأعمال صـالحة، فأبوابها كثيرة في رمضان وغيره، تقبَّل الله توباتنا، ومحا بها ما سلف من ذنوبنا، وتقبـل صيامنا وقيامنا، وأعـاد علينا شهرنا مرات وكـرَّات عديدة وفي أزمنة مـديدة، وجعل شهرنـا شاهداً لنـا لا شاهداً علينـا، إنه سميع مجيب وهو المستعان.

□ □ □

(١) الزمر، الآية: ٥٣، ٥٤.

(٢) البقرة، الآية: ٢٢٢.

العيد والوداع

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وكرمه تزداد الحسنات، وتغفر الزلات، أحمده سبحانه على ما أولى وهدى، وأشكره على ما وهب وأعطى، لا إله إلا هو العلي الأعلى، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، النبي المصطفى والرسول المجتبى، وعلى آله وأصحابه أولي الألباب والنهى، والتابعين وتابعيهم بإحسان على المنهج الأسدى، أما بعد:

أيها المسلمون الكرام :

ونحن نختم شهرنا الكريم والوافد العظيم، وكل مسلم صائم في هذا الشهر المبارك وهو يودِّعه في آخر يوم من أيامه، تختلج في صدره آهات وآهات على فراق هذا الشهر العظيم، يجول بخاطره ذكريات جميلة، وأفعال حميدة، وتصرفات سديدة، كتبها الخالق عنده حسنات مضاعفة، وأجوراً كثيرة، كما يتحسر على تلك الهفوات والزلات التي صدرت على حين غفلة، أو ضياع فرصة.

والمسلم الصائم وهو في اللحظات الأخيرة من هذا الشهر بنفحاته وخيراته، وهو يتذكر تلك الذكريات: يتساءل أسئلة كثيرة، يجد الجواب لبعضها ويتردد في أجزاء منها، تُرى: صمنا الشهر وقمناه، فهل قبل الله

منًّا؟ هذا ما نرجو، فما علامة ذلك؟ ولم ختم الشهر بيوم عيد يفرح فيه المسلمون مع أنهم فارقوا شهر الصيام والقيام والطاعات والنفحات؟... مع هذه الأسئلة نقف في هذه الوقفات الأخيرة :

□ **الوقفة الأولى :**

أعقب الله سبحانه وتعالى هذا الشهر المبارك بيوم لا كالأيام، يوم جعله عيداً للمسلمين يشكرون الله تعالى فيه على ما هيأه لهم من الطاعات في هذا الشهر المبارك، ويتأملون في ليلته ما أودعوه من أعمال، فمن أودعه عملاً صالحاً فليحمد الله تعالى وليستبشر بحسن الثواب، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ومن أودعه عملاً سيئاً فليختم بالتوبة النصوح لربه سبحانه، فإن الله يتوب على من تاب.

وفي ليلة العيد: يشرع التكبير لله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة، ويبدأ من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد، يقول سبحانه: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾[1].

وصفته: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

يكبر بها الرجل جهراً، يجهر بهذا التكبير إعلاناً لتعظيم الله، وإظهاراً لعبادته، وشكره، يكبر في بيته وسوقه ومسجده، مستشعراً هذا

---

(١) البقرة، الآية: ١٨٥

الذكر العظيم، نعم، الله أكبر من كل شيء، فلا يستحق العبودية سواه، معلناً توحيده: لا إله إلا الله، حامداً له مثنياً عليه الخير كله، سبحانه وتعالى.

ما أجمل هذا التكبير وهو يتردد بين جدران كل مدينة وقرية، فتُقمع الشياطين وتخرج عن بيوت المؤمنين.

يُعلَّم هذا التكبير الأبناء والبنات فيعجبون به وتمتلئ نفوسهم منه، ما أحلى العبادة وهي تملأ الشوارع والبيوت والأسواق، فلا يبقى للشياطين مداخل على الخلق، وما أحلى الشعار إذا كان مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى.

وفي يوم العيد تشرع زكاة الفطر قبل الصلاة كما فصلناه فيما سبق.

كما تشرع صلاة العيد، ومن المستحب خروج العائلة كلها لتشهد الخير ودعوة المسلمين، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ[1]، ولكن بآداب الخروج وامتثال شرع الله تعالى فيه، تبتعد المرأة في خروجها عن التبرج والسفور والزينة، وتكون ملتزمة بالحجاب الشرعي، خاشعة ذليلة لربها.

ومن ملامح العيد: لبس الجديد والظهور بالمظهر الحسن الطيب الذي يُرى فيه أثر نعم الله على خلقه، ويؤدي المسلمون صلاة العيد بخشوع ورغب ورهب ودعاء وذكر.

---

(١) رواه البخاري ١/ ٤٢٣ برقم (٣٢٤) في الحيض، باب شهود الحائض العيدين، ومسلم ٢/ ٦٠٦ برقم (٨٩٠) في العيدين، باب ذكر إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى.

أخي المسلم :

لا يكون العيد بلبس الجديد فحسب، وإنما العيد بلبس الحسن في المظهر، وتزيين المخبر وتطهيره، وحق للمسلم أن يفرح في ذلك اليوم، ولكن لا ينسيك فرحك أن تجتهد في تعميم ذلك الفرح.

حق لك أن تفرح بالعيد وتحمد الله تعالى على ذلك، فحاول أن تنقل هذا الشعور إلى إخوانك المسلمين فيشاركونك عيدك، فلعلك وأنت تعيش فرحة العيد أن تتذكر إخواناً لك؛ اختفت الابتسامة من شفاههم؛ لما يواجهونه من محن، فاجعل هذا الشعور يخالجك لتقدم لهم ما تستطيع، وتعيد لهم ابتسامة العيد.

في يوم العيد والفرح السعيد لا ينسينك العيد عبادتك وطاعتك التي قمت بها في الشهر العظيم فتلهو وتعبث، وقد يكون لهوك في أشياء محرمة ومكروهة كما يفعل الكثيرون، هدانا الله وإياهم، فتذهب أعمالهم سدى وتكون عليهم حسرات.

❑ **الوقفة الثانية :**

بالأمس فرح المسلمون بقدوم رمضان بما يحمله من الخيرات والأجور، واليوم يحزن المؤمنون لفراقه ووداعه، والمؤمن يرجو أن قد جعله الله تعالى من المتقبلين ومن أعتقت رقابهم من النار، والرجاء في الله كبير، فهو الغفور الرحيم، الرؤوف الحليم، يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير.

ولئن تركنا شهر رمضان وودعناه بصيامه وقيامه، فالله سبحانه وتعالى حبَّب إلينا تلك الأعمال في سائر العام لتكون دليلاً على قبول الصيام والقيام.. فلئن انقضى الصيام في رمضان فإن الصيام في سائر العام لا ينقضي، والعبادة مستمرة حتى حضور الأجل ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[1]، ومن آكد الصيام بعد رمضان صيام ستة أيام من شوال؛ لما جاء في صحيح مسلم رحمه الله[2]، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر والأولى أن تكون أيام البيض، وكذا صيام يوم عرفة لغير الحاج، وكذا يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، ففي ذلك الصيام من الخير والفضل ما الله به عليم.

❑ **الوقفة الثالثة :**

مما يمتاز به هذا الشهر المبارك: صلاة القيام، وفيها يتربى المسلم على تلك العبادة الجليلة، وهي سنة في رمضان، لكن القيام لا يزال مشروعاً في كل ليلة من ليالي السنة، فرسول الله ﷺ يقوم الليل فيُسأل عن ذلك، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه، فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»، وأفضله آخر الليل عند نزول المولى جل وعلا إلى سماء الدنيا، واعزموا عزماً أكيداً خالصاً من قلوبكم على مواصلة الطاعات؛ تسعدوا في الدنيا والآخرة، وتطيب لكم حياتكم، وتعتز نفوسكم،

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٢) رواه مسلم ٢/ ٨٢٢ برقم (١١٦٤) في الصيام، باب استحباب صيام ستة أيام من شوال إتباعاً لرمضان.

ويقوى إيمانكم، وتلقوا ربكم وهو راضٍ عنكم، وأكثروا من التكبير ليلة العيد من غروب الشمس إلى صلاة العيد: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾[1] كبروا في بيوتكم وشوارعكم وأسواقكم وطرقاتكم ومساجدكم.

فلله الحمد والمنة على ما أولانا من الفضل والنعمة، وأتم علينا شهرنا بفضله وكرمه، وليأخذ كل منا العهد على نفسه بمواصلة الطاعات؛ فدليل قبول الحسنة: الحسنة بعدها.

فإلى أولئك المجتهدين الباذلين للوقت والمال: لا تتوقفوا عن عمل الخير؛ ليتقبل ما قدمتموه.

وإلى أولئك الداعين المستغفرين: واصلوا دعاءكم واستغفاركم وذكركم، وجَدِّدوا توباتكم يفرح بها ربكم.

وإلى كل من تعوَّد على طاعة: فليداوم عليها؛ فإن خير العمل أدومه.

وإلى أولئك المفرطين الذين لم يستفيدوا من شهرهم: فباب التوبة مفتوح، والندم على ما فات يورث العمل في الحال والمآل؛ فالله سبحانه رؤوف رحيم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات.

وأكثروا معشر المسلمين في ختام شهركم من التوبة والاستغفار، فإن التوبة مع النية الخالصة لله ثمرتها القبول بإذن الله تعالى.

---

(١) البقرة، الآية: ١٨٥.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا رمضـان، وأن يتقبل منا الصيام والقيام وسائر الأعمـال، وأن يرفـع لنا الـدرجات، ويكفِّـر عنا السيئـات، ويقبل توبـاتنا، ويمحـص ذنوبنـا، كما أسألـه أن يعيد لنـا شهر رمضـان أزمنة عديدة وأوقات مديدة، وأن يعيده علينـا وعلى الأمة الإسلامية وهي ترفل بثوب النصر والعـز والتمكين، وأن يعيده علينا بالعفو والعافيـة والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، كما أسأله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الـدنيا وفي الآخرة، إنـه سميع مجيب، والحمد لله الـذي بنعمته تتم الصـالحات، وصلـى الله وسلم وبـارك على نبينـا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات